مُعَوِقَات في طريق طلب العلم

جمعها ورتبها
أبو عبد الرحمن خليل بن عبد الله بن أحمد
الحمادي

حقوق الطبع

محفوظة

1447-1448 هـ

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

مُعَوِّقَات
في
طريق طلب العلم

مقدمة

الحمد لله الذي رفع شأن العلم وأهله، وجعل طلبه من أجلِّ العبادات وأعظم القربات، فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة:١١].

والصلاة والسلام على خير من تعلم وعلّم، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إنَّ طلب العلم من أشرف المقاصد وأعظم المطالب، فهو نور يُبدد ظلمات الجهل، وسلاح يدفع به المسلم الشبهات، وطريق يسلكه العبد للوصول إلى الجنة، كما قال النبي ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة" (رواه مسلم). غير أن هذا الطريق محفوف بالعقبات، لا يجتازه إلا من صدقت نيته، وقويت عزيمته، وعلت همته.

وفي هذا الكتاب، نسلط الضوء على أهم المعوقات التي تقف في طريق طالب العلم، مرتبة حسب تأثيرها وأهميتها، وذلك حتى يكون الدارس على دراية بها، مستعدًا لتجاوزها بثقة وثبات.

وقد رأيت تقسيم هذه المعوقات إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

- المعوقات الأساسية: وهي التي تمنع الشخص من دخول باب العلم تمامًا، لذا هي الأخطر وهي:

١. الجهل بأهمية العلم وضرورته.

٢. عدم معرفة الحق وأهله.

٣. التكبر ورفض التعلم من الغير.

٤. رفقة السوء.

٥. الانشغال بالدنيا.

- المعوقات المتوسطة: قد لا تمنع التعلم بشكل مباشر لكنها تعرقل الاستمرار والتقدم، وهي:

٦. التسويف والتأجيل.

٧. قلة الصبر والاستعجال.

٨. ضعف الهمة في طلب العلم.

٩. ضعف الإخلاص والتوجه لله.

١٠. عدم وجود بيئة معينة على طلب العلم.

١١. الانقطاع المتكرر عن طلب العلم.

١٢. الخوف من المسئولية التي يأتي بها العلم.

- المعوقات الثانوية: وهي التي تعيق الاستفادة المثلى من العلم لكنها ليست موانع قوية ويمكن تجاوزها بحول الله وقوته، وهي:

١٣. الانشغال بمتطلبات الحياة اليومية.

١٤. القناعة بالمستوى الحالي من المعرفة.

١٥. الاعتقاد بأن العلم الضروري مُحصَّل بالفعل.

١٦. الانغماس في البدع والمفاهيم الخاطئة.

١٧. الإفراط في نقد النفس وهضمها.

١٨. الاعتماد الكلي على الوسائل الحديثة.

١٩. ضعف التوكل على الله.

٢٠. عدم العمل بالعلم.

وبهذا الترتيب، يمكن لطالب العلم أن يحدد أي معوق هو الأكثر تأثيرًا عليه ويحاول التغلب عليه وفق الأولوية.

فإنَّ معرفة العوائق تسهِّل معالجتها، وتجنب الوقوع فيها، وتعين على المضي قُدمًا في رحلة العلم النافع.

فنسأل الله أن ييسر لطالب العلم طريقه، ويبارك له في وقته وسعيه، ويجعل عمله خالصًا لوجهه الكريم.

والحمد لله ربِّ العالمين.

معوقات في طريق طلب العلم

المعوقات: جمع معوّق، وهو اسم فاعل من عوّق، ويعني الحائل بين الشيء وبلوغه غايته. يُقال عوّق فلانًا عن الأمر أي منعه وصدّه.

وفي لسان العرب لابن منظور: " عاقَهُ عَنِ الشَّيْءِ يَعُوقه عَوْقاً: صَرَفَهُ وَحَبَسَهُ "، وهو ما يُشير إلى كل ما يُبطئ السير أو يعيق عن التقدم.

الطريق في اللغة: هو السبيل أو المسار الذي يسلكه الإنسان للوصول إلى هدف معين. وطَرْقُ الشيء: سُلُوكُهُ.

والطريق هنا يُقصد به المسار المعنوي الذي يسلكه الطالب للوصول إلى العلم والمعرفة.

والطلب في اللغة: هو السعي للحصول على شيء؛ فطلب الشيء يعني السعي وراءه ومحاولة الوصول إليه.

والعلم لغة: نقيض الجهل، وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

والمراد بالعلم في الاصطلاح: هو العلم الشرعي، والمراد به: علم ما أنزل الله على رسوله من البيانات والهدى، فالعلم الذي فيه الثناء والمدح هو علم الوحي، علم ما أنزله الله فقط قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». متفق عليه عن معاوية.

وقال النبي ﷺ: «إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر». رواه أبو داود عن أبي الدرداء

ومن المعلوم أن الذي ورثه الأنبياء إنما هو علم شريعة الله عز وجل وليس غيره، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما ورثوا للناس علم الصناعات وما يتعلق بها. العثيمين.

والمقصود بطلب العلم: السعي في تحصيل العلم، وإدراكه، بحضور مجالسه، أو سؤال أهل العلم، أو الاطلاع والقراءة.

وقد بوب البخاري: بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ.

وفي سنن ابن ماجة عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: «أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ الْمُرَادِيَّ ، فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ: أَنْبِطُ الْعِلْمَ ، قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : **«مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، إِلاَّ وَضَعَتْ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»**. وهو حديث صحيح.

ومعنى أنبط: أي خرجت أبحث عن العلم الصحيح وهو علم الكتاب والسنة، فأنبط هذا العلم: أستخرجه.

فمعوقات في طريق طلب العلم:

تشير إلى الأمور التي تُعيق أو تُبطئ سعي الإنسان نحو تحصيل العلم.

فعندما نقول "عوائق ومعوقات طلب العلم"، فإننا نشير إلى الأمور أو الأسباب التي تعترض طريق طالب العلم وتمنعه أو تصده عن متابعة تحصيل العلم والوصول إلى المعرفة.

بمعنى آخر: عوائق طلب العلم هي كل ما يعرقل أو يعرّض الإنسان للصعوبات والمشقات التي تحول بينه وبين السعي في تحصيل العلم والتعلم.

أهمية طلب العلم:

طلب العلم له أهمية كبيرة في الإسلام وفي حياة الإنسان بشكل عام، ويعتبر من الأعمال العظيمة التي دعا إليها الإسلام وحث عليها لما له من فوائد تعود على الفرد والمجتمع. فيما يلي بعض النقاط التي تبرز أهمية طلب العلم:

١. طاعة لأمر الله ورسوله:

فالله سبحانه وتعالى أمرنا بطلب العلم وجعله واجبًا على كل مسلم ومسلمة، فقال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} (محمد: ١٩)، وفي هذا الحث على أهمية العلم بالدين والعقيدة الصحيحة.

وقد جاء من حديث أنس أنَّ النبي ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن ماجه.

وهذا يدلك على أن السعي وراء العلم الواجب واجب على كل مسلم ومسلمة.

٢. رفع الدرجات والمكانة في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (المجادلة: ١١)، فالعلماء وأهل العلم يتميزون بمكانة عالية عند الله وفي المجتمع.

العلم يُعلي قدر الإنسان بين الناس ويجعله مرجعًا ومصدرًا للمعرفة، حيث يُرجَع إليه في الأمور المختلفة للنصيحة والاستشارة.

٣. طلب العلم طريق إلى الجنة:

وقد قال النبي ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة». رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فطلب العلم يُعين المسلم على معرفة أمور دينه وأداء واجباته وعباداته بالطريقة الصحيحة التي ترضي الله سبحانه وتعالى.

٤. مصدر للقوة والمعرفة الحقيقية:

فالعلم يمنح الإنسان القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام.

فالعلم الشرعي يزود المسلم بالمعرفة اللازمة لفهم أوامر الله ونواهيه وتطبيقها في حياته اليومية.

٥. تحقيق العبودية الصحيحة لله:

فمن خلال العلم، يتعرف المسلم على كيفية عبادة الله بالطريقة الصحيحة التي أمر بها. فهو وسيلة لفهم العبادات، والفرائض، والشعائر الدينية، ولتحقيق الإخلاص لله في كل قول وعمل.

قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر: ٢٨)، فالخشية الحقيقية لله تأتي من العلم بمعرفته وبعظمته وأسمائه وصفاته.

٦. تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع:

فالعلم يساهم في نشر القيم والأخلاق والمبادئ الصحيحة التي تحث على التسامح، والعدالة، والمساواة. ويُعين المجتمع على مواجهة التحديات وحل المشاكل بالطرق العلمية والموضوعية.

فأهل العلم هم قادة الفكر والرأي في المجتمع، ومصدر للحكمة والقرارات الرشيدة.

٧. حماية المجتمع من الجهل والضلال:

فالجهل هو من أكبر أعداء المجتمع، إذ يؤدي إلى انتشار الأفكار الباطلة، والخرافات، والضلالات. بينما العلم يضيء الطريق أمام الناس ويبعدهم عن الجهل والبدع والخرافات.

ومن خلال العلم، يُمكن للأمة الإسلامية التصدي للأفكار والمفاهيم الخاطئة، وتقديم الإسلام بصورته الصحيحة.

وخلاصة الأمر أنَّ طلب العلم هو بوابة لإصلاح الفرد لنفسه وصلاح للمجتمع، فهو يُساهم في بناء الشخصية المسلمة الواعية والمجتمع المستنير. فكلما زاد الإنسان علمًا، زادت معرفته بخالقه وتوسعت رؤيته لأهمية دور العلم في الارتقاء بنفسه وبالمجتمع من حوله.

طَلَبُ العِلْمِ ثلاثَةُ أقسامٍ:

١. طَلَبٌ هو فَرْضُ عَيْنٍ، وهو طَلَبُ مَعْرِفَةِ ما يَجِبُ على العَبْدِ كَأُصولِ الاعْتِقادِ وأَحْكامِ الصَّلاةِ والطَّهارةِ ونَحْو ذلك.

٢. طَلَبٌ هو فَرْضُ كِفايَةٍ، وهو طَلَبُ ما يُحْفَظُ بِهِ الدِّينُ، كَحِفْظِ القُرآنِ الكريم والسُّنَّةِ النَّبوِيَّةِ وأُصولِ الفِقْهِ ونَحْوِ ذلك مِن العلوم.

٣. طَلَبٌ هو سُنَّةٌ، وهو التَّبَحُّرُ في العِلمِ والاسْتِزادَةُ منه.

المعوق الأول:

الجهل بأهمية العلم وضرورته

الجهل بأهمية العلم وضرورته يعد من أكبر المعوقات التي تحرم الإنسان من الاستفادة من هذا النور العظيم، بل وقد يؤدي إلى عدم إدراك مكانة العلم في حياة المسلم.

فقد جَهِل كثير من الناس، بل أكثرهم؛ أنَّ طلب العلم والسعي للاستزادة منه هو بابٌ لمعرفة الله وخشيته.

فلا سبيل لمعرفة الله ومراده ودلالات كتابه وسنَّة نبيه إلّا بالعلم، ولا بدَّ للمسلم أن يستزيد من علمه؛ لأنَّ العمل مع العلم يزيد الإيمان ويزيد اليقين، كما أنه السبيل الوحيد لمعرفة صلاح العمل وفساده.

ولذلك كان العلماء هم أكثر النَّاس خشية لله؛ لكثرة علمهم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر:٢٨].

أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماءُ العارفون به؛ لأنَّه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتمَّ والعلم به أكملَ، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

قال سعيد بن جبير: "الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عزّ وجلّ".

فعِلمُ العالمِ يمنعه من معصية الله عزَّ وجلَّ؛ لمعرفته بالله حقَّ المعرفة.

وهذا الجهل يظهر بطرق متعددة ويترتب عليه آثار خطيرة في حياة الفرد والمجتمع، ومن ذلك:

١. الجهل بأن العلم هو الأساس الذي تقوم عليه العقيدة والعبادة، ويجب على المسلم أن يدرك أنه مسؤول عن التعلم فيما يتعلق بأمور دينه ودنياه.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة الزمر: ٩].

فهذه الآية توضح أنَّ هناك فرقًا كبيرًا بين العابد الجاهل والعابد المتعلم.

٢. أن الجهل بأهمية العلم الشرعي يؤدي إلى ضعف الإيمان والانحراف عن الحق، كما يؤدي إلى التقصير في أداء الواجبات الدينية على الوجه الصحيح.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**». أخرجه البخاري (**٣١١٦**)، ومسلم (**١٠٣٧**) من حديث معاوية رضي الله عنه.

فالعلم هو علامة الخير، فإذا حرم العبد من العلم الشرعي، فقد يفقد الخير الذي كان من الممكن أن يحصل عليه من خلال الفهم الصحيح للدين.

٣. الجهل بأهمية العلم في التمييز بين الحق والباطل

فالعلم هو السبيل الوحيد للتمييز بين الحلال والحرام، والخير والشر، وإذا لم يدرك المرء أهمية العلم، فسيكون عرضة للأفكار الباطلة والبدع التي قد تؤدي به إلى الانحراف.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة:١٢٢].

فهذه الآية تدل على أهمية التفقه في الدين، فإنه من خلال العلم يتحقق التحذير من الأخطاء والانحرافات التي قد يقع فيها الإنسان بغير علم.

٤. الجهل بأهمية العلم الشرعي في المجتمع يؤدي إلى انتشار الفساد والظلم، حيث لا يكون لدى الناس الأسس الصحيحة لبناء مجتمع سليم قائم على القيم الإسلامية.

وقد قال ﷺ: «**إِنَّ مِن أَشْراطِ السّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ ويَثْبُتَ الجَهْلُ، ويُشْرَبَ الخَمْرُ، ويَظْهَرَ الزِّنا**». البخارى (٨٠) مسلم (٢٦٧١). عن أنسٍ رضي الله عنه.
فلما رُفع العلم فشا الجهل فانتشر الفساد في الناس.

٥. الجهل بأهمية العلم يؤدي إلى إهمال الحقوق، سواء كانت حقوق الله أو حقوق العباد، حيث لا يستطيع الإنسان بغير علم أن يؤدي ما عليه على الوجه الأكمل.

قال الله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سورة النحل:٤٤].

ففي هذه الآية إشارة إلى أهمية العلم في معرفة الأحكام الشرعية، إذ بدون العلم قد يقع الإنسان في تجاوزات تتعلق بحقوق الآخرين.

٦. الجهل بالعلم يؤدي إلى انتشار البدع في المجتمع، حيث لا يكون لدى الناس العلم الكافي لتمييز الحق من الباطل، فيتبعون العادات الخاطئة والبدع.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**وإيّاكم ومُحدَثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالَه**». أبو داود (٤٦٠٧)، وأحمد (١٧١٤٥) عن العرباض.

فالجهل يجعل الناس يتبعون أموراً مخالفة للكتاب والسنة، ويقعون في البدع والمخالفات.

٧. الجهل يجعل العبد فريسة سهلة للوقوع في الشبهات والشهوات

فالعلم هو الحصن الذي يحمي الفرد من الوقوع في الشبهات والشهوات.

فإذا جهل الإنسان أهمية العلم، فإنه يكون عرضة للشبهات والشهوات التي قد تهلكه.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل:٤٣].

فهذه الآية تحث على الرجوع إلى أهل العلم عندما تلتبس الأمور، وهذا يبين أهمية العلم في اتخاذ القرارات الصائبة والابتعاد عن المحرمات.

خلاصة الأمر:

لا بد أن نعلم أنَّ العلم ضرورة حياتية وشرعية، ويجب على المسلم أن يدرك أهميته في حياته الدينية والدنيوية، لأنَّ العلم هو السبيل إلى الهداية والطريق إلى رضوان الله.

فالعلم نورٌ؛ وكلما عظُم هذا النور في قلبك، اتضحت لك الطريق أمامك، وانكشفت لك الرؤية إلى أبعد الأفق.

وكلما خبا ذلك النور، اشتد عليك الظلام، فتزداد حيرتك وتخبطك بمقدار ما ضعف من النور.

فمن الناس من نورُه كالشمس، يضيء له الأرجاء، فتبدو له الحقائق واضحة جلية، يفرق بها بين الحق والباطل، والمحق من المبطل، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب.

ومنهم من يكون نوره كضوء الشمعة، لا يكاد يرى إلا ما هو بين يديه؛ ولا يبصر إلا من كان قريبًا منه، وربما تعثر بشيء لم يره.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [سورة النور: ٤٠].

المعوق الثاني

عدم معرفة الحق وأهله

الجهل بطريق الحق يجعل طالب العلم يقف حائرًا متسائلاً: "أين أطلب العلم، وكل فرقة تدعي أنها على الحق؟ فعند من أتعلم؟"

هذه الحيرة تُعدُّ من أخطر العوائق التي تواجه طالب العلم، خاصة في زمن كثرت فيه الفرق والمناهج واختلطت الأصوات.

ولكي يخرج الطالب من هذه الحيرة، لابد من الوقوف عند أُسس واضحة تُرشده إلى طريق الحق، وهي كالتالي:

١. الرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح

فالحق واحد لا يتعدد، وهو ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة، بفهم السلف الصالح، الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية فقال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». أخرجه البخاري (٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فطالب العلم يجب أن يتحرى من ينطلقون من هذه الأصول دون تحريف أو ابتداع.

٢. معرفة علامات أهل الحق

فهناك علامات واضحة يتميز بها أهل الحق والعلماء الموثوقون، منها:

١) تمسكهم بالكتاب والسنة بلا تعصب للأهواء أو الآراء الشخصية.

٢) اتباعهم منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة والسلوك.

٣) بعدهم عن التعصب الحزبي أو الدعوة إلى الفرقية.

٤) الاعتدال في الفهم والتطبيق، فهم لا يغلون ولا يجفون.

٣. النظر إلى حال العالم وسيرته

فالعالم الحق لا يدعو إلى نفسه، بل يدعو إلى الله وإلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ويكون معروفًا بين أهل العلم بالسيرة الحسنة والورع والتقوى.

ويشهد له بالعلم والبصيرة العلماء الآخرون الثقات.

٤. التمييز بين دعاة الحق ودعاة الباطل

فأهل الحق يعتنون بإقامة الحجة والبرهان من النصوص الشرعية، بينما أهل الباطل يعتمدون على الشعارات والمشاعر.

فلا يُعرف عن أهل الحق تصيُّد الأخطاء أو التحزبات، بل هم أهل نصيحة ورحمة.

٥. سؤال أهل العلم المعتبرين

فإنه إذا حار الطالب في تحديد العلماء الذين يأخذ عنهم، فعليه أن يسأل أهل العلم الثقات عن العلماء المعروفين بالاستقامة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [سورة النحل:٤٣].

٦. الإخلاص والدعاء بالهداية

فعلى الطالب أن يُخلص نيته لله في طلب العلم، فيسعى للوصول إلى الحق بغرض العمل به، ويدعو الله سبحانه فإن الدعاء من أقوى الوسائل لرفع الحيرة، ومنه: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرائِيلَ، وَمِيكائِيلَ، وإسْرافِيلَ، فاطِرَ السَّمَواتِ والأرْضِ، عالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بيْنَ عِبادِكَ فِيما كانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اخْتُلِفَ فيه مِنَ الحَقِّ بإذْنِكَ؛ إنَّكَ تَهْدِي مَن تَشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ». رواه مسلم (٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها.

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

المعوق الثالث

التكبر ورفض التعلم من الغير

الكبر عن طلب العلم: هو الامتناع عن السعي لتحصيل العلم، أو رفض التعلم من الغير بسبب شعور المرء بالعلو والاستغناء عن الآخرين، أو اعتقاده بتفوقه عليهم، مما يمنعه من التواضع للعلماء أو قبول النصيحة أو الحق.

وأركان الكبر في طلب العلم مذكور في حديث عبد الله بن مسعود حيث قال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم (٩١)

فالأول: رفض الحق: كما قال النبي ﷺ: "الكبر بطر الحق.". أي ردّه وعدم قبوله، حتى لو ظهر واضحًا.

الثاني: ازدراء الآخرين: ويتمثل في اعتقاد المتكبر أنه أفضل من معلميه أو زملائه، كما قال النبي ﷺ: "وغَمْطُ الناسِ." أي احتقارهم.

- **مظاهر الكبر عن طلب العلم**

١. ترك حضور حلقات العلم، فالمتكبر يرى نفسه أعلى من الجلوس لتلقي العلم مع الآخرين.

٢. رفض التعلم من الأصغر سنًا أو أدنى مكانة، فيظن المتكبر أن العلم لا يُؤخذ إلا ممن هو أعلى منه مكانة.

٣. عدم الاعتراف بالخطأ إذا أخطأ، فيرفض المتكبر قبول التوجيه أو التصحيح لأنه يعتبر ذلك نقصًا في حقه.

٤. الاستعلاء على كتب معينة أو معلمين محددين، فيرى المتكبر أن بعض مصادر العلم أو المعلمين لا يليقون بمستواه.

فالكبر من أبرز العوائق التي تمنع الإنسان من الاستفادة من العلم وتحصيله. وهذا يعود إلى عدة أسباب، منها:

١. أن التكبر ينافي التواضع المطلوب لتحصيل العلم

فالعلم يحتاج إلى قلبٍ متواضع يقبل الحق ويبحث عنه، فهو شرط أساسي لنيل العلم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ [سورة البقرة:٢٨٢].

فالآية تشير إلى أن التقوى والخضوع لله سبب في فتح أبواب العلم.

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٤٠٦):

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه ، أي يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى إليه ، وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقانا ، أي فيصلا يفصل به بين الحق والباطل ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [سورة الأنفال:٢٩]. ا. هـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما تَواضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إلّا رَفَعَهُ اللَّهُ**». رواه مسلم (٢٥٨٨)

قال المُناوي في فيض القدير (٥/ ٥٠٣): "ومَن تَواضع في قَبولِ الحقِّ ممن دونَه، قَبِل الله منه مدخول طاعاته، ونفعه بقليل حسناته، وزَاد في رِفعَة درجاته، وحفظه بِمُعَقِّبَات رحمته من بين يديه ومن خلفه". ا. هـ

قال الإمام الشافعي: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ، وما في قلبي من علم إلا وودت أن يتعلَّمه كل أحد ولا ينسب إليّ. ا. هـ [١]

٢. التكبر يؤدي إلى الجهل المركب

والجهل المركب هو أن يجهل الإنسان ويظن أنه يعلم، فالمتكبر يعتقد أنه مكتفٍ بعلمه، فيرفض الاستزادة أو التعلُّم من غيره، مما يجعله يبقى في دائرة الجهل.

قال الله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف:١٤٦].

وهذا وعيد صريح بأن المتكبر يُحرم من فهم آيات الله وعلمه.

٣. أن المتكبر يرفض الاستماع للنصح أو التصحيح، مما يحرمه من فائدة التوجيه من العلماء أو الأقران.

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ١٧٤)، الحلية (٩/ ١١٨)، توالي التأسيس ص ٦٥.

وفي حديث ابن مسعود قال النبي ﷺ: «الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ». رواه مسلم (٩١)

و"بطر الحق" يعني ردّه وإنكاره، مما يدل على أن التكبر يمنع صاحبه من قبول التوجيه أو النصح.

٤. التكبر يجعل الإنسان يظن نفسه فوق الآخرين، مما يحرمه من بركة الاجتماع على العلم.

٥. ضياع البركة في العلم

فشرط تحصيل العلم هو السلوك على طريقه، وهذا يتطلب تواضعًا ليس عند المتكبر.

والتكبر يُذهب بركة العلم، لأن التواضع هو مفتاح القبول عند الله وعند الناس، قال النبي ﷺ: "من تواضع لله رفعه."

كيفية التغلب على التكبر في طلب العلم:

١. استحضار أن العلم هبة من الله، وأنه لا سبيل للحصول عليه إلا بالتواضع.

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة النمل:١٥].

وقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة النساء:١١٣].

وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة طه:١١٤].

٢. إدراك العبد أنه مهما بلغ علمه، يبقى ناقصًا محتاجًا لعلم الآخرين.

وقد قال سبحانه: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة يوسف:٧٦].

قال العلامة السعدي: فكل عالم فوقه من هو أعلم منه، حتى ينتهي العلم إلى عالم الغيب والشهادة. اهـ.

٣. الاقتداء بالسلف الصالح، والتأمل في تواضع العلماء.

ومن ذلك ما رواه الحاكم بإسنادٍ حسن عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ أَخَذَ بِرِكَابِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَقَالَ لَهُ: تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "إِنَّا هَكَذَا نَفْعَلُ بِكُبَرَائِنَا وَعُلَمَائِنَا".

وَجَاءَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: دَعْنِي حَتَّى أُقَبِّلَ رِجْلَيْكَ يَا أَسْتَاذَ الْأُسْتَاذَيْنِ، وَسَيِّدَ الْمُحَدِّثِينَ، وَطَبِيبَ الْحَدِيثِ فِي عِلَلِهِ. (١)

وهذا قمة في التواضع من الإمام مسلم.

قال الإمام الشافعي:

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي
وإذا ما ازددت علما زادني علما بجهلي (٢)

٤. **الإكثار من الدعاء وذلك** بسؤال الله أن يرزق العبد التواضع والبركة في طلب العلم.

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص: ١١٣)

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (٥/ ١٩٣).

المعوق الرابع

رفقة السوء

الرفقة الصالحة لها دور محوري في حياة طالب العلم، فهي من أعظم الوسائل التي تُعينه على الاستمرار في طريق التعلم وتحصيل الفهم الصحيح لدينه. وقد أكد الإسلام على ضرورة اختيار الصحبة الصالحة في عدة مواضع من القرآن والسنة، لما لها من أثر كبير على حياة الفرد، ومن ذلك:

١. أن الصديق الصالح يشجع على الطاعات، ويعين على مواجهة التحديات التي قد تعترض طريق طالب العلم، قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف: ٢٨).

وقال النبي ﷺ: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير..." رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى.

٢. أن الرفقة الصالحة تشجع طالب العلم على الاجتهاد، وتُذكره بفضائل العلم وأهمية الصبر في طلبه، فتزيد من همته وتدفعه للمضي قدمًا.

٣. أن الصحبة الصالحة تُثري العقل بالمعرفة وتفتح لطالب العلم آفاقًا جديدة من خلال تبادل الأفكار والمناقشات النافعة، مما يعينه على الفهم الصحيح. قال الشافعي: "من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم".

٤. أن الرفيق الصالح يقي الإنسان من الانحراف عن طريق الحق، ويُحذّره من الشبهات التي قد تُفسد عقيدته أو تشتت فكره.

٥. من خلال الصحبة الصالحة، يلتزم طالب العلم بمواعيد حضور الدروس وحلقات الذكر، إذ يجد من يرافقه ويشجعه على ذلك.

واختيار الرفيق الصالح يكون بمراعاة عدة أمور:

١. اختيار من يخاف الله ويتقيه.

٢. مصاحبة من يهتم بالعلم ويشجع على طلبه.

٣. يجب أن يكون حسن الخلق والمعاشرة.

٤. مصاحبة المستقيمين على دين الله.

فالرفقة الصالحة هي عون لطالب العلم في الدنيا والآخرة، لذا يجب عليه أن يحرص على اختيار أصدقائه بعناية، لأنهم شركاؤه في رحلة طلب العلم، وسبب من أسباب توفيقه بإذن الله.

والأصدقاء والزملاء الذين لا يقدرون العلم قد يؤثرون سلبًا على المرء ويشجعونه على اللهو والبعد عن مجالس العلم.

فرفقة السوء تعدّ من أخطر معوقات طلب العلم، لما لها من تأثير سلبي على السلوك، والأخلاق، والاهتمامات.

٧. ومن الأسباب التي تجعلها معوقًا لطالب العلم:

١. صرف الاهتمام عن العلم

فرفقة السوء غالبًا ما تشغل الإنسان بأمور تافهة أو مضرة، مثل اللهو، الغيبة، والنميمة، مما يضعف عزيمة طالب العلم ويجعله غير قادر على التركيز في طلبه.

٢. التأثير السلبي على الأخلاق

فرفقة السوء يغرسون في القلب أخلاقًا سيئة، مثل الكسل، والتهاون في العبادات، والبعد عن الخلق القويم. وهذا ينعكس على قدرة الطالب على تحصيل العلم.

والإنسان يتأثر بأصدقائه، كما قال النبي ﷺ: "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة.

فرفقة السوء قد تجرُّ الإنسان إلى المعاصي والانحراف عن منهج الحق، مما يؤدي إلى تضييق القلوب عن العلم النافع.

٣. إضاعة الوقت

فإن من أعظم موارد طالب العلم الوقت، ورفقة السوء تضيع هذا المورد الثمين في أمور لا نفع فيها، كالجلوس بلا هدف أو الانشغال بما لا يعود بفائدة.

مثل القيل والقال، واللهو، والانشغال بما لا يعني.

٤. إضعاف الإيمان والقيم

رفقة السوء تؤدي إلى ضعف الإيمان، حيث إنهم يثبطون الهمم عن الطاعات ويستهزئون بالخير، مما يجعل طالب العلم يفقد حماسه وقدرته على مواصلة السعي في طريق العلم.

٥. التشكيك في أهمية العلم الشرعي

فرفقة السوء قد تبث أفكارًا سلبية عن العلم الشرعي، مثل اعتباره غير ضروري أو غير مفيد، مما قد يؤدي إلى زعزعة ثقة طالب العلم في مسيرته.

٦. تزيين المعاصي

رفقة السوء تزين المعاصي وتجعلها مقبولة أو محببة، مما يُبعد طالب العلم عن نقاء القلب وصفاء الذهن المطلوبين لطلب العلم. قال النبي ﷺ: "الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ". (رواه أبو داود والترمذي).

٧. تشويه الفكر والعقيدة: فرفاق السوء قد ينقلون إلى طالب العلم أفكارًا خاطئة وشبهات قد تزعزع عقيدته وتشككه في الحقائق الشرعية، مما يُعيق تقدمه العلمي والديني.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (الأنعام: ٦٨).

٨. إبعاد الطالب عن البيئة الصالحة

رفقة السوء تُبعد طالب العلم عن العلماء والبيئة الصالحة التي تدعمه وتوجهه، مما يؤدي إلى انقطاعه عن مجالس العلم.

والنجاة من هذا المعوق بأمور:

١. اختيار الصحبة الصالحة قال الله تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

٢. الحرص على مجالسة العلماء وطلبة العلم المستفيدين فإنها تُعين على تحصيل العلم وتقوية الإيمان.

٣. تنظيم الوقت وذلك وضع جدول محدد لتخصيص أوقات للعلم والعبادة.

٤. التخلص من رفاق السوء وقطع العلاقة بهم بحكمة، مع الدعاء لهم بالهداية.

رفقة السوء خطر عظيم على طالب العلم، ولابد من الحذر منها والعمل على اختيار الصحبة الصالحة التي تعينه على تحقيق أهدافه العلمية والدينية.

المعوق الخامس

الانشغال بالدنيا

والمقصود بالانشغال بالدنيا: أي أن يهتم الإنسان بمتاع الدنيا وشؤونها الزائلة، مثل المال، والممتلكات، والشهوات، واللهو، أكثر من اهتمامه بأمور الدين والآخرة.

ويُقصد بهذا الانشغال التعلق المفرط بالمظاهر الدنيوية والعمل على تحقيق المكاسب المادية والشهوات الزائلة على حساب الواجبات الدينية، بما في ذلك طلب العلم النافع والعبادة.

فالانشغال بالدنيا يعتبر من أكبر العوائق التي قد تمنع الإنسان من طلب العلم، وذلك لأن الاهتمام الزائد بمتاع الحياة الدنيا والانهماك في تحقيق المكاسب المادية أو الترفيه والانشغال بالملذات يستهلك الكثير من الوقت والجهد والطاقة، مما قد لا يترك حتى القليل للعبد لاستثماره في الدراسة والتعلم.

ولا شك أنَّ طلب العلم يحتاج إلى تخصيص وقت وجهد، وإلى تركيز وانضباط.

وحينما ينهمك الإنسان في شؤون الحياة اليومية، مثل السعي وراء المال، والعمل الطويل المتواصل ليلا ونهارا، أو الالتزامات الاجتماعية الزائدة، فإنه يصعب عليه أن يجد وقتًا كافيًا أو دافعًا قويًا للجلوس مع الكتب أو حضور حلقات العلم.

والله سبحانه وتعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} (المنافقون: ٩).

فالله سبحانه وتعالى يحذر من الانشغال بالأموال والأولاد، لأن الانشغال بها قد يصرف الإنسان عن ذكر الله وطاعته، ومن أعظم الذكر لهو طلب العلم الذي هو من أعظم أنواع الطاعة.

وقد روى أحمد وابن حبان من حديث عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يُسْمِعَانِ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ: أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى، وَلَا غَرَبَتْ إِلَّا بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».

وهذا يدل على أن الانشغال الزائد بتحصيل الأمور الدنيوية قد يلهي الإنسان عن الأمور الأهم والأعظم، مثل العلم والعمل للآخرة.

فإن كان الانشغال بالدنيا قد صرف كثيرًا من أهل الإسلام عن أعظم العبادات بعد توحيد الله وهي الصلاة فكيف بطلب العلم الذي يكون فيه التعب والتفرغ للطلب وبذل الجهد والوقت، فهذا لا شك أنَّ أكثر المسلمين مصروفٌ عنه.

والانشغال بالدنيا كمُعيق لطلب العلم يُمكن أن يكون بأشكال عديدة تتداخل مع حياة الإنسان بشكل يصرفه عن هدفه الأساسي في السعي للعلم.

فالدنيا بطبيعتها تُغري الإنسان بالراحة والترف والملذات، مما قد يجعله يميل إلى تفضيل الأمور السهلة والعاجلة على الأمور الجادة التي تحتاج إلى وقت وتفكير وصبر.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له». رواه الترمذي عن أنس

وهذا الحديث يدل على أن من يركز همه على الدنيا ويغفل عن الأمور التي تقربه إلى الله، سيجد نفسه متشتتًا ولا ينال من الدنيا إلا ما قُدِّر له.

لذلك، يحتاج طالب العلم إلى إدارة وقته وأولوياته بحكمة، بحيث يجعل جزءًا من وقته مخصصًا لطلب العلم والتعلم، دون أن تسيطر عليه أمور الدنيا وتلهيه عن التفقه فيما يقربه إلى الله سبحانه.

٨. ومن أبرز صور الانشغال بالدنيا والتفكير المستمر في شؤونها على نحو يضعف عزيمة طالب العلم ويصرفه عن هدفه الأساس، ما يلي:

١. الانشغال بتحصيل المال، والانغماس في طلب المكاسب الدنيوية كالتجارة أو الوظائف، مما يؤدي إلى تغليب الدنيا على العلم، وإهمال ما ينبغي أن يُقدَّم من التعلم والتحصيل.

٢. الانهماك في اللهو والملذات، وقضاء الأوقات الطويلة في التسلية المفرطة كمتابعة البرامج الترفيهية أو تصفح وسائل التواصل، وهو ما يُفضي إلى ضياع الأوقات الثمينة التي كان يمكن استثمارها في طلب العلم.

٣. كثرة حضور المجالس غير النافعة، كالمجالس السياسية أو الاجتماعية التي لا تمتّ إلى العلم بصلة، إذ تستهلك الجهد والوقت بلا فائدة علمية تُذكر.

٤. الانشغال بالمظاهر الدنيوية، كشراء الأثاث الفاخر، أو السيارات، أو الملابس الباذخة، والتنافس في الكماليات، مما يشتت الذهن ويضعف الاهتمام بالعلم.

٥. إهمال الوقت المخصص للدراسة والمراجعة، بسبب الانشغال بالأعمال أو الوظائف، فيقلّ حضور المحاضرات ومطالعة الكتب، ويتأخر بذلك التقدم العلمي.

٦. الوقوع في المعاصي والتساهل في التوبة، والابتعاد عن طريق الاستقامة، وهو من أعظم أسباب غفلة القلب، وسبب مباشر لضعف الفهم وضيق الاستيعاب، حتى يعجز الطالب عن النهوض العلمي.

٧. الانشغال الزائد بأمور الأسرة المادية، والإفراط في العناية بتفاصيلها على حساب طلب العلم، مما يؤثر سلبًا على تركيز الطالب ويعوقه عن مواصلة طريق التعلم.

٩. ومن الوسائل المعينة لطالب العلم على اجتناب الانشغال بالدنيا، وتحقيق التوازن بين متطلبات الحياة وطلب العلم، ثلاث نقاط رئيسة:

أولًا: أن يُقدِّم العلم في سلّم أولوياته، فيُحسن تنظيم وقته، ويُقسِّمه بين العمل والدراسة بما يضمن استمرار الطلب دون تفريط أو انشغال مفرط بأمور الدنيا.

ثانيًا: أن يتحلى بالاقتصاد في شؤون المعيشة، فيقتصر على الضروريات ويزهد في الكماليات، فإن قلة التعلّق بالماديات تتيح له وقتًا أطول وجهدًا أوفر للانشغال بالعلم.

ثالثًا: ملازمة الصحبة الصالحة، فإنها من أعظم ما يُعين على الثبات والجد، وذلك بمرافقة أهل العلم، وترك مجالس اللهو والغفلة التي تشتت الذهن وتصرف عن المقصود.

والموفق من وفقه الله.

فإنَّ الدنيا دار غرور وقد كان السلف يتحاشونها ويخافون على أنفسهم من الانشغال بها.

قال الحسن البصري: "والله لقد رأيتُ أقوامًا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيتُ أقوامًا يُمسي أحدُهم ولا يجدُ عنده إلاَّ قوتًا، فيقول: لا أجعل هذا كلَّه في بطني، فيتصدَّق ببعضه، ولعلّه أجوع إليه ممن يتصدق عليه"!

وقام عليٌّ بن أبي طالب ذات مرة من الليل، وقد أرخى الليل سجوفه ، وغارت نجومه ، وقد مَثُلَ في محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم يعني القريص ويبكي بكاء الحزين ، وهو يقول : يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت ، أم لي تشوقت ، هيهات هيهات ، غري غيري ، قد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، آهٍ من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق .

فَأخبر معاوية بذلك، فذرفت دموع معاوية رضي الله عنه فما يملكها وهو ينشفها بكمه، ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك.

المعوق السادس

التسويف والتأجيل

الكثير من الناس يؤجلون ويماطلون في طلب العلم، معتقدين أن هناك وقتًا كافيًا في المستقبل، ولكن هذا التوجه قد يؤدي إلى ضياع العمر دون تحقيق أي تقدم.

التسويف من أخطر أسلحة إبليس في صرف طالب العلم عن مسيرته، حيث يزين له تأجيل الحفظ والمذاكرة بزعم أن الوقت أمامه طويل، فيسلبه إحساس الاستعجال بأداء الواجبات. وهكذا، يمضي العمر في أوهام التسويف دون إنجاز يُذكر، فتضعف عزيمته شيئًا فشيئًا حتى يعتاد الكسل ويهجر الاجتهاد، لينتهي به الحال إما فاترًا عن طلب العلم أو منصرفًا عنه تمامًا.

١٠. فالتسويف والتأجيل يُعدّان من أكبر معوقات طلب العلم وذلك لأمور:

١. لأنه يؤدي إلى ضياع الوقت الثمين فالعلم يحتاج إلى اغتنام الوقت واستثماره بشكل فعّال وكل لحظة تُؤجَّل فيها الدراسة أو المراجعة هي لحظة مفقودة ولن تعود مهما حاول الإنسان تعويضها.

٢. أن التسويف يُضعف همة الطالب مع مرور الوقت حيث يجد نفسه مؤجلاً دائمًا دون إنجاز فعلي مما يدفعه إلى التهاون في متابعة طلب العلم بجدية.

٣. أنَّ طلب العلم يحتاج إلى انتهاز الفرص المتاحة مثل وجود العلماء الربانيين، وحضور الدروس أو الاستفادة من أوقات الفراغ والتسويف يؤدي إلى ضياع هذه الفرص التي قد لا تتكرر.

٤. أنَّه مع مرور الوقت يُصبح التسويف عادة مترسخة حيث يعتاد الشخص تأجيل المهام إلى مما يجعله يعيش في دائرة من الكسل والتهاون.

٥. أنَّ العلم يحتاج إلى استمرارية وتواصل يومي والتأجيل يقطع سلسلة التعلم والتقدم مما يضعف قدرة الطالب على الاستيعاب والتحصيل.

٦. أنَّ التسويف يمنع طالب العلم من الوصول إلى أهدافه الكبرى سواء كانت حفظ القرآن أو إتقان الحديث أو التمكن من علوم الشريعة.

١١. وللتغلب على آفة التسويف والتأجيل، يمكن لطالب العلم أن يسلك عددًا من الخطوات العملية التي تعينه على الانضباط والجدّ، منها:

١. استشعار عظمة طلب العلم، وأنه عبادة من أجلِّ العبادات، والوقت هو رأس مال الطالب، فلا مجال لإضاعته، والتأخير في العمل يُفوّت فرصًا قد لا تعود.

٢. عدم انتظار الظروف المثالية، بل البدء بما هو متاح، ولو كان قليلاً، فالبدايات البسيطة تفتح الطريق أمام الاستمرار، ومن انتظر الكمال فاته الكثير.

٣. التحلي بالعزيمة والصبر، فمواجهة التسويف تحتاج إلى مجاهدة دائمة للنفس، حتى يتحول العمل إلى عادة يومية محببة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩].

٤. اللجوء إلى الله وطلب العون منه، فالتوفيق لا يُنال إلا بإذنه، فيستعين الطالب بربه على الكسل والعجز، ويدعو بدعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ».

باتباع هذه الخطوات، ومع الإصرار والتوكل على الله، يمكن التخلص من التسويف والتأجيل بإذن الله عز وجل والسير بثبات نحو تحقيق أهداف طلب العلم.

قال رسول الله ﷺ: "اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" رواه الحاكم. عن ابن عباس.

المعوق السابع

قلة الصبر والاستعجال

أهمية الصبر في طلب العلم تتجلى في كونه أساسًا لتحصيل العلم، حيث يحتاج العلم إلى وقت وجهد مستمرين، والصبر يعين على مواجهة التحديات؛ مثل طول المدة وصعوبة الفهم، كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} (السجدة: ٢٤).

ومن أبرز جوانب الصبر التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها لهو الصبر على المشاق والتحديات، فإن طريق العلم ليس مفروشًا بالورود، بل يعترضه كثير من العوائق، كضيق ذات اليد، أو ضغوط الواقع، أو النقد من الآخرين، أو ما يعانيه المرء من عقبات نفسية وشخصية.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى فضل الصبر وعظيم أثره، فقال فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "ومن يتصبر يُصبره الله، وما أُعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر". متفق عليه.

وكذلك الصبر على التدرج في الطلب ضرورة لا غنى عنها، فالعلم لا يُنال جملةً واحدة، بل يُؤخذ شيئًا فشيئًا، ويُبنى من الأساس إلى القمّة، ومن جهل منازل التدرج استعجل الثمرة قبل نضجها.

وقد عبّر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن هذه الحقيقة بقوله: "ذُلِّلتُ طالبًا فعَزَزْتُ مطلوبًا".

أي: أذللت نفسي، وتحمّلت المشقة والضعة في سبيل طلب العلم، حتى نلته، فأصبحت عزيزًا مهابًا يُطلب علمي ويُؤخذ عني. [١]

ففي قوله هذا إشارة إلى أن من لم يصبر على ذل الطلب، لا ينال عز التحصيل.

إضافة إلى ذلك، الصبر على المراجعة والفهم أمر أساسي؛ لأن الإتقان يأتي بالاستمرار والصبر على التكرار، كما قال يحيى بن أبي كثير رحمه الله: "لا يُنال العلم براحة الجسد".

وبذلك يكون الصبر مفتاح نجاح طالب العلم في تحصيله وإتقانه، وبه يُواجه العقبات ويصل إلى الغايات.

فطلب العلم يحتاج إلى صبر ومثابرة، فالكثير من الطلاب يريدون النتائج السريعة دون بذل جهد طويل الأمد.

---

[١] عن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال: ضع لي وضوءا، قال: فتوضأ وجلس، وقال: اخرج فقل: هلم، من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل، فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا .

ثم قال: اخرج، فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا .

ثم قال: اخرج، فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فقلت لهم: فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا .

ثم قال: اخرج فقل لهم: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا .

ثم قال: اخرج، فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به، وزادهم .

قال أبو صالح: فلو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا لها، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس.

وقد قال رسول الله ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة" (رواه مسلم)، مما يدل على أهمية المثابرة والصبر.

قلة الصبر والاستعجال يُعدّان من أكبر المعوقات أمام طالب العلم، لأن تحصيل العلم الشرعي، مثل غيره من العلوم بل أكثر، يتطلب جهدًا متواصلاً، وصبرًا على المشقة، واستعدادًا للالتزام طويل المدى.

ومن صور الصبر المهمة أيضًا: الصبر على المراجعة والفهم، فإن الإتقان لا يتحقق إلا بالتكرار والمثابرة، ومن ظن أن العلم يُنال من أول مرة فقد أخطأ الطريق.

وقد قال يحيى بن أبي كثير رحمه الله: "لا يُنال العلم براحة الجسد"، إشارة إلى أن التعب والمشقة من لوازم التحصيل، وأن من أراد الراحة فليُعرض عن العلم.

فالصبر هو مفتاح النجاح في طلب العلم، به تُذلل العقبات، وتُبلغ الغايات، وبدونه تضيع الجهود، وتتوقف الخطى.

وكثير من طلاب العلم يستعجلون النتائج، ويريدون الحصاد قبل الزرع، فتفتر هممهم عند أول عقبة، وينقطعون عن الطريق.

وقد نبَّه النبي ﷺ إلى عِظم فضل من يصبر ويسلك سبيل العلم، فقال: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة" رواه مسلم عن أبي هريرة.

وفي الحديث حثٌّ على مواصلة السعي في طلب العلم، وتأكيد على أن طريق العلم، وإن طال، فهو طريق إلى الجنة لمن صبر وسلكه بصدق.

وبذا يتبين أنَّ من أعظم المعوقات التي تواجه طالب العلم لهو قلة الصبر والاستعجال.

فالعلم، وخصوصًا الشرعي، لا يُنال إلا بمداومة وجد، وبذلٍ طويل النفس، وترك للراحة والدعة، واستعداد لتحمل مشقة الطريق على مدى العمر.

١٢. وقلة الصبر والاستعجال من أعظم العوائق التي تُضعف مسيرة طالب العلم، وتؤثر سلبًا على جوانب متعددة من رحلته العلمية، منها:

١. أن العلم يحتاج إلى زمن طويل وصبر متواصل، ومن قلّ صبره سرعان ما يترك الدراسة قبل أن يرى ثمار جهوده، فينصرف وهو في بداية الطريق.
٢. أن المستعجل يتوهم الحصول على نتائج سريعة دون بذل الجهد الكافي، فإذا لم يرَ ما يُرضي طموحه العاجل، تراجع وفترت همته، وربما انقطع تمامًا.
٣. أن من لا يصبر ينهار عند أول عقبة، سواء كانت صعوبة في الفهم، أو حاجة إلى تكرار المراجعة، أو ضيق ذات اليد، بينما الصابر يثابر حتى يتجاوزها.
٤. أن العجلة تجرّ إلى التعلم السطحي، فالمستعجل يميل إلى التسرع في قراءة الكتب وفهم المسائل دون تمعن، فيحصل على علم هشّ لا يرسخ، ولا يُنتفع به.

٥. أن الاستعجال يُفضي إلى ترك التدرج في الطلب، فيبدأ الطالب بالمسائل الكبيرة قبل إتقان الأصول، فيتشتت فهمه، ويضيع جهده، إذ العلم يُبنى كما يُبنى البناء: أساس فأساس.

٦. أن قلة الصبر تزرع في النفس التنقّل بين المشايخ والمناهج، دون ثبات أو التزام، فيفقد الطالب التركيز والتدرج، بينما التعلّم المثمر يحتاج إلى ملازمة منهج واضح وأهل علم موثوقين.

٧. أن الاستعجال يفسد النية، فقد يدفع الطالب إلى طلب العلم لأغراض دنيوية، أو للمفاخرة، لا لوجه الله، فتنقص بركة العلم، ويُحرم أثره،

٨. وإنما بركة العلم في الإخلاص، والتواضع، والصبر على مشاق الطريق.

كيف يتجاوز طالب العلم هذا المعوق؟

١. تذكير النفس بفضل الصبر:

فيستحضر النصوص الشرعية التي تحث على الصبر، مثل قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} (السجدة: ٢٤).

وتذكر أن العلماء لم يصلوا إلى مكانتهم إلا بالصبر على مشقة الطلب.

٢. التدرج في طلب العلم والبدء بالأساسيات، مثل تعلم العقيدة الصحيحة، والعبادات، واللغة العربية، ثم التوسع إلى العلوم الأخرى.

٣. قراءة سير العلماء الذين تحلوا بالصبر، مثل الإمام البخاري والإمام أحمد وغيرهم، وكيف تحملوا المشاق حتى بلغوا القمة.

٤. اللجوء إلى الله بالدعاء أن يرزقه الصبر والإخلاص، لأن العلم الشرعي توفيق من الله.

١٣. وليتجاوز طالب العلم معوق قلة الصبر والاستعجال، فثمة وسائل عملية ومعينة، منها:

١. تذكير النفس بفضل الصبر وثمراته.

وذلك من خلال استحضار النصوص الشرعية التي تبيّن مكانة الصابرين، كقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} [السجدة: ٢٤]، ففي الآية إشارة إلى أن الإمامة في الدين لا تُنال إلا بالصبر.

وليُدرك طالب العلم أن العلماء لم يبلغوا مراتبهم الرفيعة إلا بصبر طويل على طلب العلم ومشاقه.

٢. التدرج في طلب العلم، والبدء بالأهم فالمهم.

فيبدأ بالأصول والضروريات، كتعلم العقيدة الصحيحة، والعبادات، واللغة العربية، ثم ينتقل شيئًا فشيئًا إلى بقية العلوم، وفق خطة واضحة، وبلا استعجال، فإن العلم بناء يُشيَّد لبنة لبنة.

٣. الاستفادة من سير العلماء الصابرين.

فقراءة سير الأئمة، كالبخاري، وأحمد، والشافعي، وابن تيمية، وغيرهم، تُبين لطالب العلم كيف صبروا على الأسفار، والجوع، والتعب، والمحن، حتى أثمرت جهودهم، فتكون تلك السير وقودًا لهمته، وعزاءً في تعبه.

٤. اللجوء إلى الله عز وجل بالدعاء.

فيسأله الصبر والإخلاص والثبات، فإن العلم الشرعي نعمة وهبة، لا تُنال إلا بتوفيق من الله، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: "اللهم إني أسألك علماً نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً"، كما كان يتعوذ من العجز والكسل، وهي من أعظم موانع التحصيل.

المعوق الثامن

ضعف الهمة في طلب العلم

علو الهمة هي صفة تدفع صاحبها إلى تجاوز الكسل والرضا بالقليل، وتجعله يسعى لتحقيق الغايات العظيمة برغبة صادقة وعزيمة قوية، بعيدًا عن سفاسف الأمور والتوافه.

فعلو الهمة ألا تقف دون الله، ولا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بديلاً.

وعلو الهمة في طلب العلم هو الأساس الذي يدفع الطالب للمثابرة والتضحية لتحقيق أهدافه العلمية، حيث يعينه على مواجهة الصعوبات والاستمرار في التعلم رغم التحديات. بالهمة العالية يحقق الطالب إنجازات عظيمة، ويصل إلى مراتب عليا من الفهم والإبداع، مستثمرًا وقته وجهده في تحصيل العلم النافع، مما يجعله منارة للعلم والعمل.

وهمم الناس تختلف بين علو وسفول وبين كبر وصغر وبين ضخامة ودناءة. وعلى قدر تفاوت الهمم والإرادات تتفاوت مقامات الخلق في الدنيا والآخرة. فأعلاهم همة أبلغهم لما يريد، وأكثرهم تحقيقا لما يطلب.

ضعف الهمة في طلب العلم يعد من أبرز المعوقات التي تعترض طريق السالكين نحو تحصيل العلم لأنه يمنع الجهد المستمر اللازم للوصول إلى الغايات.

ومن ضعفت همته لن يواصل في طلب العلم إلا أن يشاء الله وذلك لأمور:

١. لأن طلب العلم يتطلب صبرًا وعزيمة قوية وبدون همة عالية يصبح الطالب عاجزًا عن مواجهة التحديات التي تعترضه مثل طول مدة التحصيل أو التعقيد في المسائل العلمية، أو صعوبة الحفظ، أو غير ذلك.

فحق على طالب العلم أن يفرغ له قلبه ويخلص له وقته ويجعل له همه.

٢. ضعف الهمة يدفع الطالب للانجراف نحو أمور أقل أهمية مثل التسلية أو الانشغال بالملهيات اليومية مما يؤدي إلى تبديد وقته ومنعه من التركيز على العلم.

يقول ابن الجوزي: "من علامة كمال العقل علو الهمة والراضي بالدون دنيء.

ولم أر في عيوب الناس عيبا.... كنقص القادرين على التمام". ا. هـ

٣. أنَّ من ضعفت همته يتوقف عند أول عائق مثل صعوبة الفهم أو قلة الموارد أو حتى انتقاد الآخرين.

قال يحيى بن أبي كثير: "لا يُستطاع العلم براحة الجسد."

٤. الاجتهاد والمثابرة ضروريان لإثمار العلم وبدون همة عالية لا يصل الطالب إلى مرحلة الإبداع أو الإضافة العلمية.

قال الإمام أحمد بن حنبل: "مع المحبرة إلى المقبرة" مشيرًا إلى حاجة العلم للاستمرار.

٥. أنَّ ضعف الهمة يسبب إحباطًا ويأسًا في نفس الطالب فيفقد الأمل في بلوغ أهدافه العلمية.

قال الحسن البصري: "من علامات إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا ينفعه."

٦. أنَّ ضعف الهمة يؤدي إلى تضييع الأوقات الثمينة في أمور غير مفيدة مما يضيع الفرص التي يمكن استثمارها في طلب العلم.

"فالهمة العالية أن لا ترضى إلا ببلوغ النهاية."

علاج ضعف الهمة:

يبدأ من داخل النفس بتقوية الإرادة وتصحيح النية، واستحضار قيمة العلم مع اتباع خطوات عملية لاستثمار الوقت والجهد وتحقيق الأهداف المرجوة.

قال ابن القيم في الفوائد (ص: ٢٢١): لقاح الهمّة العالية النيّة الصحيحة، فاذا اجتمعا بلغ العبد غاية المراد. ا. هـ

يشير رحمه الله إلى أن تحقيق الغايات العظيمة والنجاح في السعي إلى الكمال يعتمد على اجتماع عنصرين أساسيين:

الأول: أن تكون النية خالصة لله تعالى، موجهة نحو تحقيق رضا الله، والابتعاد عن الرياء أو المصالح الدنيوية البحتة. النية هي التي تمنح العمل قيمته وتجعل له ثقلاً في ميزان الحسنات. كما قال النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات." (متفق عليه).

الثاني: أن يكون لدى الإنسان إرادة قوية وعزيمة صادقة لا تعرف الكسل أو الفتور، تطمح دائمًا إلى أعلى المراتب وأعظم الغايات، سواء في العلم أو العبادة أو العمل.

فاجتماع هذين الأمرين (النية الصحيحة والهمة العالية) يشبه تلقيح النبتة، حيث تنتج عنه ثمار مباركة وعمل متكامل.

فالنية الصحيحة توجه العمل إلى الطريق السليم، والهمة العالية تدفع الإنسان للاستمرار وعدم التوقف حتى بلوغ الهدف.

المعوق التاسع

ضعف الإخلاص والتوجه لله

الإخلاص مطلوب في كل عمل يعمله العبد من أعمال الطاعات والقربات، قال سبحانه وتعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء" (البينة: ٥).

فالعبد إذا لم يكن مخلصًا في نيته سيجد صعوبة في الاستمرارية والتحصيل.

ضعف الإخلاص والتوجه لله في طلب العلم هو من معوقات التحصيل والبركة في العلم؛ لأن نية طالب العلم تؤثر بشكل كبير على نتائجه وثمراته.

- **ويكون ضعف الإخلاص معوقًا عن طلب العلم من عدة جوانب:**

الرياء والتشتت في النية: عندما يضعف الإخلاص، ينشغل الطالب برأي الناس أو يسعى للشهرة، فيتشتت ذهنه وينصب تركيزه على تحقيق غايات دنيوية بدلًا من اكتساب العلم لله وفي سبيل خدمة الآخرين. هذا يضعف استيعابه ويحد من استمراريته في طريق العلم.

انعدام البركة في العلم: نية طلب العلم ينبغي أن تكون خالصة لله، لأن الإخلاص يُثمر بركة في الوقت والجهد والاستفادة من العلم، كما يمنح توفيقًا من الله عز وجل. أما إذا سعى الطالب لتحصيل العلم بغير إخلاص، فقد يفقد هذه البركة، فيتراجع أثر العلم على نفسه وعلى من حوله.

عدم التوفيق والهداية: العلم نور، ويهدي الله من أخلص نيته فيه، فبدون الإخلاص قد يُحرم الطالب من هذا النور ويضل في اختياراته وسعيه، فلا ينتفع بعلمه ولا يُنتفع به.

التأثر بالفتن والشبهات: الإخلاص لله يثبت القلب والعقل في مواجهة الفتن والشبهات، بينما ضعف الإخلاص قد يجعل طالب العلم عرضة لتأثره بمغريات الدنيا والشهوات، مما قد يؤدي إلى الانحراف عن الحق.

الفشل في تحقيق غايات العلم النبيلة: العلم هدفه رفعة الأمة وخدمة الدين والمجتمع، وعندما يضعف الإخلاص، قد ينحرف هدف الطالب ليصبح ماديًّا أو شخصيًّا، ما يؤدي إلى تقصير في تحقيق الغايات النبيلة وتوظيف العلم في سبيل الخير.

فالإخلاص لله في طلب العلم هو الأساس الذي يُبنى عليه كل نجاح وبركة في العلم.

- **للتخلص من معوق ضعف الإخلاص في طلب العلم:**

١. تجديد النية باستمرار: استحضار أن الهدف هو رضا الله.

على الطالب أن يجدد نيته في طلب العلم ويستحضر إخلاصه لله، ويكون هذا بالتصريح بقصد وجه الله وتذكر الغاية العظمى من العلم وهي عبادة الله ونفع الناس. وتذكر دعاء النبي ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم."

٢. تذكر خطر الرياء وأنه يحبط عمل صاحبه.

٣. تذكر الآخرة والجزاء: لتحفيز الإخلاص.

تذكر أن الحساب يوم القيامة يكون على النوايا والأعمال، وأن طلب العلم من أجل غير الله يُحبط العمل. التوجه نحو الآخرة يجعل الإخلاص مسألة حياة أو موت، مما يدفع الطالب لمراجعة نيته باستمرار.

٤. الصحبة الصالحة: لتكون عونًا في طريق الإخلاص.

اختيار أصدقاء ومحيط يعينون على الإخلاص ويذكرون الطالب بالغاية الحقيقية من العلم، ويحثونه على تصحيح مساره كلما انحرف.

المعوق العاشر

عدم وجود بيئة معينة على طلب العلم

البيئة المحيطة بالإنسان تلعب دورًا محوريًا في تشكيل دوافعه واستمراريته في طلب العلم. فإذا كانت البيئة التي يعيش فيها غير مشجعة أو لا تهتم بالعلم، كأن يكون أصدقاؤه أو أفراد أسرته غير مكترثين بالعلم أو لا يعطونه قدره الحقيقي، فإن ذلك قد يؤثر سلبًا على عزيمته ورغبته في طلب العلم.

وفي هذه الحالة، يجد طالب العلم نفسه محاطًا بأشخاص قد يثبطون همته، إما بشكل مباشر من خلال الانتقاد أو السخرية، أو بشكل غير مباشر من خلال إهمالهم للقيمة الحقيقية للعلم وتفضيلهم الانشغال بأمور دنيوية أو سطحية. قد يؤدي هذا إلى شعور الطالب بالعزلة أو عدم التقدير، مما يضعف حماسه للاستمرار في طلب العلم، خاصة إذا لم يجد دعمًا معنويًا من بيئته المحيطة.

وعدم وجود بيئة معينة داعمة يمكن أن يكون من معوقات طلب العلم لعدة أسباب، منها:

غياب التحفيز والتشجيع: فالبيئة المحيطة لها دور كبير في تحفيز الطالب ومساندته. إذا لم تكن البيئة مهتمة بالعلم أو تقدّر قيمته، قد يشعر الطالب بالإحباط أو بعدم أهمية جهوده.

قلة القدوات الصالحة: البيئة العلمية توفر قدوات من العلماء والطلاب الملتزمين الذين يكون لهم تأثير إيجابي على الطالب. عدم وجود هذه القدوات قد يحرم الطالب من نماذج يحتذي بها.

ضعف الانضباط والتنظيم: البيئة المنظمة تشجع على الجد والاجتهاد وتوفر جواً مناسباً للتركيز. أما البيئة التي تفتقر إلى النظام فقد تشتت الطالب وتعيق التزامه بالتحصيل.

الانشغال بأمور جانبية: البيئة التي لا تهتم بطلب العلم غالباً ما تكون مليئة بالمشاغل والملهيات التي تصرف الطالب عن هدفه الأساسي.

عدم وجود تنافس إيجابي: وجود زملاء في طلب العلم يشجع على التنافس الشريف والارتقاء بالمستوى. عدم وجود هذا التنافس قد يضعف العزيمة.

- **كيفية التغلب على معوّق غياب البيئة الداعمة لطلب العلم يتمثل في أمور:**

١) متابعة الدروس عبر بقنوات المشايخ المعروفين بالعلم والسنة، مع الانضمام إلى مجموعات علمية، مصداقًا لقوله تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" (المائدة: ٢).

٢) تحفيز النفس على طلب العلم بتذكيرها بفضائله، كما قال النبي ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة" (رواه مسلم).

٣) عدم الالتفات للمخذلين الذين يثبطون الهمم عن طلب العلم، وهذا يعد من المبادئ الأساسية في تحقيق النجاح والإنجاز.

فإنه في كثير من الأحيان، نجد أن الأشخاص المحيطين بنا قد يثيرون الشكوك في قدراتنا أو يقللون من عزيمتنا بناءً على تجاربهم الشخصية أو مخاوفهم. لكن التقدم والنجاح لا يأتيان إلا عندما نواصل السعي رغم الصعوبات، ونتجنب التوقف أو الاستماع إلى التشكيك في قدراتنا.

وتذكر حديث ابن عباس قال رضي الله عنه: «لَمَّا تُوُفِّيَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قلت لِرَجُلٍ من الْأَنْصَارِ: يا فُلَانُ، هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ النبي صلى الله عليه وسلم فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فقال: واعجبا لك يا بن عَبَّاسٍ! أَتَرَى الناس يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وفي الناس من أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم من تَرَى؟ فَتَرَكَ ذلك وَأَقْبَلْتُ على الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كان لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عن الرَّجُلِ فَآتِيهِ وهو قَائِلٌ فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي على بَابِهِ فَتَسْفِي الرِّيحُ على وَجْهِي التُّرَابَ فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي فيقول: يا بن عَمِّ رسول اللَّهِ ما جاء بِكَ؟ ألا أَرْسَلْتَ إلي فَآتِيَكَ؟ فَأَقُولُ: أنا أَحَقُّ أن آتِيَكَ، فأسأله عن الحديث قال: فَبَقِيَ الرَّجُلُ حتى رَآنِي وقد اجْتَمَعَ الناس عَلَيَّ فقال كان هذا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي» رواه الدارمي وصححه الحاكم وقال: على شرط البخاري.

٤) التواصل مع طلاب العلم واسنشارة المشايخ وحضور حلق العلم والمحاضرات ولو بعدت يساعد فهذا يساعد على إيجاد رفقة صالحة تعين على الاستمرار، كما قال النبي ﷺ: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" (رواه أبو داود).

٥) البدء بالتدرج من خلال قراءة الكتب المختصرة التي لا تحتاج إلى شرح مطول، ويسهل فهمها.

وفيه فوائد ومنها:

١. التركيز على الأساسيات: الكتب المختصرة تُقدّم المعلومات بشكل مبسّط وواضح، مما يساعد على فهم الأساسيات دون التشتت في التفاصيل. هذا يمنحك قاعدة معرفية قوية لتوسيع معرفتك لاحقًا.

٢. تحقيق الاستمرارية: بدلاً من الإغراق في كتب طويلة ومعقدة، تتيح لك الكتب المختصرة قراءتها في وقت أقل، مما يعزز قدرتك على الاستمرار في التعلم بشكل يومي أو منتظم، وهو ما يتوافق مع حديث النبي ﷺ: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل".

٣. زيادة الدافع: قراءة كتب مختصرة تساعد في تحقيق التقدم بسرعة، مما يعزز الدافع للاستمرار. الشعور بأنك قد أنجزت شيئًا يجعل التعلم أكثر متعة وحافزًا للاستمرار.

٤. التدرج في التعلم: هذا الأسلوب يُسهم في بناء معرفتك تدريجيًا، مما يُسهل الانتقال إلى مواضيع أكثر تعقيدًا في المستقبل. كما يعينك على تجنب الإحساس بالضغط أو الفوضى.

٦) قراءة سير العلماء الربانين العاملين بعلمهم

فقراءة سير العلماء الربانيين العاملين بعلمهم تُعد مصدر عظيم في تجاوز هذه العقبة، وتوجيه في طريق العلم. تعلمنا من تجاربهم كيفية تجاوز الصعوبات، وتُحفّزنا على العمل بالعلم والمثابرة على التعلم رغم التحديات. سيرتهم تبرز القيم الأخلاقية والتواضع، مما يساعدنا على التحلي بالصبر والاستمرار في طلب العلم رغم غياب البيئة الداعمة.

٧) الدعاء والاستعانة بالله جزء أساسي، بالإكثار من الأدعية مثلما ورد عن النبي ﷺ: "اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علمًا" (رواه الترمذي).

الدعاء والاستعانة بالله هما وسيلتان قويتان للتغلب على غياب البيئة الداعمة لطلب العلم. من خلال الدعاء، نطلب من الله التوفيق والإلهام، وهو الذي يفتح لنا أبواب الفهم والفرص. كما يساعد الدعاء على الصبر والمثابرة، ويمنحنا القوة للاستمرار رغم التحديات. في النهاية، الاستعانة بالله هي الأساس لتحقيق النجاح في العلم والعمل.

بالالتزام بهذه الخطوات المدعومة بالأدلة الشرعية، يمكن التغلب بإذن الله تعالى على غياب البيئة الداعمة وتحقيق النجاح في طلب العلم.

المعوق الحادي عشر

الانقطاع المتكرر عن مجالس العلم

المداومة على حضور مجالس العلم لها فضل عظيم في الإسلام، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث التي تبين أهمية العلم وفضله. من أبرز فضائل ملازمة مجالس العلم:

١. الرفع في الدرجات: العلم يرفع الله به درجات صاحبه في الدنيا والآخرة، كما جاء في الحديث الصحيح: "من يُرد الله به خيرًا يُفقه في الدين" (متفق عليه).

٢. شهادة الملائكة: الملازمون لمجالس العلم تحيط بهم الملائكة، وتستغفر لهم حتى يسكتوا، ويذكر الله سبحانه وتعالى في مجالسهم. فقد جاء في الحديث: "إنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضًا بما يصنعُ" (رواه الترمذي).

٣. نور في القلب: العلم يهدي صاحبه ويعطيه نورًا في قلبه، مما يجعله أقرب لله سبحانه وتعالى وأكثر فهمًا لدينه.

٤. زيادة في الرزق: من يطلب العلم بنية خالصة لله، فإن الله يبارك له في رزقه، ويعينه على ما يطلبه من علم نافع.

٥. مفتاح للخير: حضور مجالس العلم يقود إلى الخير والتقوى، ويساعد على تطوير فهم أعمق للحياة والدين، وبالتالي التوازن بين العمل والعبادة.

٦. علاج للجهل: العلم يعالج الجهل الذي قد يضل الإنسان ويبعده عن الطريق المستقيم.

فملازمة هذه المجالس لها أثر كبير على حياة الإنسان الروحية والعلمية، وتفتح له أبوابًا للبركة في كل ما يفعله.

والانقطاع المتكرر عن مجالس العلم من المعوقات الرئيسية التي تحول دون تقدم الشخص في طلب العلم، حيث يتسبب في ضعف التحصيل العلمي وتراجع مستوى الفهم والاستيعاب. ويؤدي هذا الانقطاع إلى عدة سلبيات تعوق مسيرة الطالب في طلب العلم ومنها:

١. فقدان الاستمرارية في التعلم

إن طلب العلم يحتاج إلى المثابرة والاستمرارية، فالتعلم عملية تراكمية لا تتحقق إلا بالمواظبة على المجالس العلمية والاستزادة من العلم بشكل متواصل. قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)، فهذا يدل على أن الإنسان مأمور بالسعي المستمر لزيادة العلم وعدم التوقف عنه.

وقال النبي ﷺ: "إنما العلم بالتعلم" (صحيح الجامع ٢٣٢٨)،

فهذا الحديث يؤكد أن العلم لا يُكتسب إلا من خلال التعلم المستمر والمواظبة عليه، أما الانقطاع المتكرر فيؤدي إلى ضعف التحصيل العلمي وضياع الفائدة المرجوة.

٢. تشتت الفكر وصعوبة الربط بين المفاهيم

عندما تتباعد فترات التعلم بسبب الانقطاع، فإن ذلك يؤدي إلى تشتت الفكر، مما يجعل من الصعب على الطالب ربط المعلومات الجديدة بالسابقة، فينتج عن

ذلك ضعف في الفهم والاستيعاب. وقد أشار الله تعالى إلى أهمية التكرار والتثبيت في التعلم، فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥)،

مما يدل على أن التكرار والمداومة على التعلم يساهمان في ترسيخ العلم في الذهن، وأن الغفلة عنه تؤدي إلى النسيان والتشتت.

٣. فقدان التواصل مع العلماء وطلاب العلم

مجالس العلم ليست مجرد وسيلة لاكتساب المعلومات، بل هي بيئة تُشجّع على النقاش العلمي والتفاعل مع العلماء وطلاب العلم، مما يوسع الأفق ويعزز الفهم. وقد أوصى النبي ﷺ بصحبة الصالحين وأهل العلم، فقال: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل" (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني)،

فصحبة العلماء تعين على طلب العلم وتثبيته، بينما يؤدي الانقطاع إلى العزلة العلمية وضعف التحصيل.

٤. قلة التوجيه والتصحيح

من أهم فوائد مجالس العلم أنها تتيح للطالب فرصة تلقي التوجيه والتصحيح المباشر من العلماء، مما يساعده في التخلص من المفاهيم الخاطئة والتأكد من صحة فهمه للعلوم المختلفة. قال النبي ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة" (رواه مسلم)،

فهذا الحديث يشير إلى أهمية طلب العلم بالطريقة الصحيحة، والتي تشمل الاستفادة المباشرة من أهل العلم، وليس مجرد الاكتفاء بالقراءة الفردية التي قد توقع الإنسان في الأخطاء.

٥. ضعف الالتزام والانضباط

الالتزام بمجالس العلم يساعد في غرس الانضباط والمثابرة في شخصية طالب العلم، بينما يؤدي الانقطاع عنها إلى ضعف الالتزام والتراخي في طلب العلم. وقد جاء في الحديث: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" (رواه البخاري ومسلم)، مما يدل على أن الاستمرار في العمل – ولو كان قليلاً – أفضل من الانقطاع عنه، وهذا ينطبق أيضًا على طلب العلم.

٦. الغفلة عن مصادر جديدة للعلم

المجالس العلمية توفر للطالب فرصًا للتعرف على مصادر جديدة للعلم، سواء من خلال العلماء أو من خلال ما يُطرح فيها من كتب وأبحاث ومناقشات. أما الانقطاع عنها، فإنه يؤدي إلى العزلة عن المستجدات العلمية والمعرفية، مما يُضعف من قدرة الطالب على التوسع في مجاله. وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)،

والعلم من أعظم أعمال البر والتقوى، والتعاون فيه يكون بالاستمرار في المجالس العلمية والتفاعل مع أهل العلم.

٧. تأخير الوصول إلى الأهداف العلمية

الانقطاع المتكرر عن طلب العلم يؤدي إلى تأخير تحقيق الأهداف العلمية، فكلما زاد التوقف، طال الطريق وصعبت العودة.

قال ابن المبارك: "لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل". اهـ

وهذا يدل على أن طلب العلم رحلة مستمرة، والانقطاع عنها يعوق تقدم الإنسان في هذه الرحلة.

- للتخلص من معوق الانقطاع المتكرر عن مجالس العلم، يمكن اتباع عدة خطوات.

١. استحضار فضل العلم وأهميته، فتذكر أن طلب العلم من أعظم القربات، فقد قال النبي ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة" (رواه مسلم)، وتأمل في فضل العلماء ورفعتهم، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، كما أن قراءة سير العلماء والمثابرين في طلب العلم تكون دافعًا للاستمرار.

٢. وضع خطة منظمة لحضور مجالس العلم، وذلك بتحديد جدول زمني ثابت لحضور المجالس وعدم ترك الأمر للظروف، والبدء بحضور دروس ثابتة قليلة ثم زيادتها تدريجيًا لتجنب الإرهاق، والالتزام بالمجالس ولو كانت عبر وسائل التواصل الحديثة عند التعذر عن الحضور المباشر.

٣. الصحبة الصالحة والتواصل مع أهل العلم، فمصاحبة طلاب العلم الذين يحفزون على الالتزام تعين على الاستمرارية، قال النبي ﷺ: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل" (رواه أبو داود والترمذي)، مع الحرص على التواصل مع العلماء أو طلبة العلم للاستفادة من نصائحهم وتوجيهاتهم، والمشاركة في مجموعات علمية تُذكّر بالمجالس وتشجع على الحضور.

٤. تدوين الفوائد والمراجعة الدورية، وذلك بكتابة ملاحظات أثناء الدروس لزيادة التركيز والفهم، وتخصيص وقت لمراجعة ما تم تعلمه، لأن المراجعة المستمرة تساعد في تثبيت العلم، مع تطبيق ما يُتعلم عمليًا لأن العمل بالعلم يعين على ترسيخه.

٥. الدعاء والاستعانة بالله، فمن أسباب التوفيق في طلب العلم دعاء الله، وقد كان النبي ﷺ يدعو: "اللهم إني أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيبًا وعملاً متقبلاً" (رواه ابن ماجه)، والاستعانة بالله في التخلص من العوائق التي تحول دون الاستمرار في طلب العلم.

٦. تجنب الانشغال الزائد بالمشتتات، وذلك بتقليل الانشغال بوسائل التواصل والإعلام غير المفيد، وترتيب الأولويات بحيث يكون طلب العلم جزءًا أساسيًا في الحياة اليومية، وترك التسويف والحرص على الحضور الفعلي حتى لا يصبح التأجيل عادة.

٧. الصبر على المشقة والعوائق، فالعلم يحتاج إلى صبر ومجاهدة، وقد قال الشافعي رحمه الله: "لن تنال العلم إلا بستة: ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان"، مع تقبل وجود صعوبات في البداية والاستمرار رغمها، لأن النتائج تظهر مع الوقت والمثابرة.

فينبغي للمسلم الحريص على طلب العلم أن يداوم على حضور المجالس العلمية، وأن يجعل التعلم المستمر هدفًا أساسيًا في حياته، حتى ينال بركة العلم وهدايته في الدنيا والآخرة.

فنسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح. آمين.

المعوق الثاني عشر

الخوف من المسؤولية التي يأتي بها العلم

العلم نور يضيء للعبد طريقه في الحياة، فهو لا يقتصر على مجرد اكتساب المعلومات أو تراكم المعارف، بل يمتد ليشكل منهجًا للحياة ينظم بها العبد علاقته بربه وبالناس وبنفسه. حين يتعلم الإنسان، تتسع آفاقه وتتضح أمامه معالم الطريق، فيدرك أهمية تحمل المسؤولية التي ترافق العلم بشكل طبيعي.

فالعلم يربي النفس على الحكمة والبصيرة، وحين يتعلم الإنسان، يدرك أن العلم لا قيمة له دون عمل وعطاء. فالمعرفة تستوجب تطبيقها فيما ينفع الناس ويصلح أحوالهم، مما يجعل طالب العلم في موقع المسؤولية تجاه نفسه وتجاه مجتمعه.

وكلما زاد علم العبد، زاد وعيه بما له وما عليه.

يعرف كيف يؤدي الأمانات، ويقيم العدل، ويزن الأمور بميزان الشرع والعقل. ومن هنا، يتولد شعور بالمسؤولية تجاه أمانة العلم الذي يحمله.

والعلم يوجه العبد إلى أساليب الحكمة في اتخاذ القرارات وتحمل العواقب. فيصبح أكثر صبرًا وثباتًا عند مواجهة التحديات، مدركًا أن تحمل المسؤولية جزء من واجب الاستخلاف في الأرض.

ورغم أهمية العلم في تمكين الإنسان من تحمل المسؤولية، إلا أن الاعتماد على الله يظل الركيزة الأساسية التي يستند إليها العبد:

فيجب على طالب العلم أن يستعين بالله في كل شؤون حياته، فيسأله التوفيق والهداية. قال تعالى: وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ [هود: ٨٨].

فالخشية من الله هي دليل العلم الحقيقي، فالعلم الذي يغرس الخشية في القلوب هو الذي يجعل الإنسان يسير على الطريق المستقيم، فلا يغتر بعلمه ولا يثق بنفسه ثقة تخرجه عن دائرة التوكل على الله.

فيتعلم طالب العلم الصبر والحلم والتواضع، فهي زاد يعينه على مواجهة الصعوبات والقيام بالأمانة على أكمل وجه.

فالعلم نعمة عظيمة ومسؤولية جليلة، لكنه في الوقت ذاته أمانة تحتاج إلى الإعداد النفسي والروحي لتحملها. لذا، على طالب العلم أن يسعى دائمًا للتقرب إلى الله، والاعتماد عليه، وطلب العون منه، فهو سبحانه الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومن ذلك تجد أن البعض قد يتردد في طلب العلم بسبب خوفه من هذه المسؤولية التي ترافق العلم، خاصة في الأمور الشرعية. فقد يشعر بالخوف من تحميله المسؤولية في نشر العلم أو تطبيقه في حياته الشخصية.

الخوف من تحمل المسؤولية التي يأتي بها العلم يمكن أن يكون عائقًا أمام طلبه عندما يغلب على الإنسان شعور القلق من التزامات العلم، فيراه عبئًا أكثر من كونه نورًا ومنهج عمل.

وهذا الخوف يجعل الشخص يفتقد الشجاعة للسير في طريق التعلم، رغم أن العلم في أصله نعمة عظيمة ووسيلة لإصلاح النفس والحياة.

وهذا الخوف يؤثر جدا على من أراد طلب العلم من عدة جوانب:

١. أنَّ الخوف من مسؤولية هذا النور يجعل الإنسان يتردد في طلبه، فيظل في ظلام الجهل، غير مدرك أن هذا النور هو الذي يعينه على تحمل أعباء الحياة بوضوح وبصيرة.

٢. أنَّ العلم ليس مجرد معرفة، بل هو منهج حياة ينظم السلوك ويعلم الإنسان كيف يتعامل مع نفسه ومع الآخرين؛ والخوف من التزامات العلم يعطل هذا المنهج، ويترك الشخص في حالة من الفوضى والتردد.

٣. أنَّ العلم يدعو صاحبه إلى التغيير المستمر نحو الأفضل، سواء في الأخلاق أو الأعمال أو المسؤوليات. الخوف من مواجهة هذا التغيير يجعل البعض يختار البقاء على الحال الراهن، فيرفض العلم خوفًا من تحمل تبعاته.

٤. أنَّ طالب العلم يحمل مسؤولية أن يكون قدوة لغيره، والخوف من التقصير في هذا الدور قد يدفع الإنسان إلى العزوف عن طلب العلم، متناسيًا أن الكمال ليس مطلوبًا، بل المطلوب هو السعي والاجتهاد.

فينبغي على طالب العلم أن يتجاوز هذا الخوف وذلك لأمور:

١. لأنَّ العلم هو المفتاح لفهم الواجبات والحقوق. بدونه، تبقى المسؤوليات غامضة وثقيلة. أما مع العلم، فيصبح الإنسان قادرًا على التعامل معها بحكمة وفعالية.

٢. لأن الخوف من العلم يشبه الخوف من النور، لكنه في الحقيقة هو ما يبدد الظلام ويمنح القوة لمواجهة الصعوبات. قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [الزمر: ٩].

٣. لأن طلب العلم منهج عملي يربط الإنسان بربه. عندما ينوي الإنسان أن يتعلم ليعبد الله على بصيرة، فإن هذا العلم يصبح عبادة تعينه على الدنيا والآخرة، فلا ينبغي الخوف منه.

٤. لأن الله لا يترك عباده يتحملون مسؤولية العلم وحدهم، بل يعينهم إذا أخلصوا النية وسعوا بصدق. قال النبي ﷺ: احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز [رواه مسلم].

فكيف نتجاوز هذا الخوف؟ بعدة أمور:

١. الإيمان بأن العلم ليس عبئًا يُثقل كاهل طالبه؛ بل هو رحمة تهديه للطريق الصحيح، وتحمل المسؤولية جزء من هذه الرحمة لأنه يجعله أكثر وعيًا ونفعًا لنفسه ولغيره.

٢. طلب العلم بالتدريج فإنَّ الخوف من المسؤولية قد ينشأ من محاولة حمل كل العلم دفعة واحدة، والتعلم التدريجي يخفف العبء ويجعل المسؤولية مستساغة.

٣. تذكر أنَّ العلم يرفع صاحبه درجات في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: ١١]. فتذكر هذا الفضل يشجع على السعي ويبدد الخوف.

٤. إخلاص النية في طلب العلم إذا كانت النية في طلب العلم خالصة لله، فإن الله يبارك فيه ويخفف عن صاحبه التبعات. النية الطيبة تحوّل المسؤولية إلى عبادة.

٥. طلب العون من الله بالدعاء، كالدعاء بثبات القلب واستمداد القوة لتحمل مسؤولية العلم.

فالخوف من تحمل المسؤولية التي يأتي بها العلم هو عائق نفسي أكثر منه واقعي. العلم نور ومنهج عمل يساعد الإنسان على تحمل المسؤوليات بوعي وبصيرة. لذا، بدلاً من الخوف منه، يجب أن ننظر إليه كنعمة تعيننا على السير في طريق الله بثقة، متوكلين عليه، وموقنين بأنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

المعوق الثالث عشر:

الانشغال بمتطلبات الحياة اليومية

الانشغال بمتطلبات الحياة اليومية يعني أن الشخص ينهمك في أداء واجباته وأعماله الضرورية التي تضمن له ولأسرته العيش بشكل طبيعي.

وتشمل هذه الواجبات الواجب تجاه الأسرة من نفقةٍ وغيرها؛ وكذا العمل بمختلف أنواعه، سواء كان عملاً مكتبيًا أو يدويًا أو غيره؛ إلى جانب الواجبات الاجتماعية التي تتطلب زيارة الأهل والأصدقاء والمشاركة في المناسبات، وكذلك الواجبات الدراسية للطلاب، التي تتضمن المذاكرة، وإعداد الواجبات، وحضور المحاضرات.

ويزداد ذلك بالنسبة للمرأة واجبات الأعمال المنزلية، مثل الطهي، والتنظيف، والغسيل.

وتتعدد أسباب هذا الانشغال؛ فقد يكون ناجمًا عن ضغوط الحياة المتنوعة، مثل ضغوط العمل والدراسة والأسرة، أو بسبب الالتزامات الكثيرة التي تجعل الشخص موزعاً بين عدة مهام في الوقت نفسه، مما يزيد من شعوره بالانشغال. كما أن الرغبة في تحقيق أهداف معينة قد تدفعه إلى العمل بجد واجتهاد، ما يضيف إلى أعبائه اليومية ويستنزف وقته وطاقته.

فالانشغال بمتطلبات الحياة اليومية يمثل عقبة كبيرة أمام الكثير من الناس؛ خاصة في عصرنا الحالي الذي يتصف بالسرعة وكثرة المتطلبات.

هذا الانشغال قد يصبح عائقًا حقيقيًا أمام طلب العلم، وذلك لأسباب متعددة:

١. ضيق الوقت: فمن أبرز العوائق التي تقود إليها هذه المشاغل لهو قلة الوقت المتاح للدراسة والقراءة، فإنَّ الكثير من الناس يجدون أنفسهم منشغلين بين العمل، والواجبات المنزلية، والعلاقات الاجتماعية، والمسؤوليات الأخرى، مما يجعل تخصيص وقت كافٍ للعلم أمرًا صعبًا في نظرهم.

٢. الإرهاق الحاصل بسبب المشاغل: فكثرة المشاغل تؤدي إلى الإرهاق الجسدي والعقلي، وهو ما يقلل من القدرة على التركيز واستيعاب المعلومات، مما يجعل أحدهم يقول: لا أستطيع طلب العلم!

٣. تعارض الأولويات: فقد تتعارض الرغبة في طلب العلم مع متطلبات الحياة الأخرى، مما يجعل من الصعب تحديد الأولويات وتخصيص الوقت لكل منها.

٤. الضغوط النفسية: يمكن للضغوط المستمرة من المسؤوليات المتزايدة أن تؤثر سلبًا على الحافز والرغبة في التعلم.

كيفية التغلب على هذه العوائق:

للتغلب على هذا العائق أمام طلب العلم، يمكن اتباع عدة استراتيجيات تساعد على التوازن بين متطلبات الحياة والاهتمام بالدراسة، وهي:

١. تنظيم الوقت وتحديد أوقات ثابتة للعلم: من المهم تخصيص وقت محدد ومنتظم لطلب العلم، ولو كان قليلاً؛ فالاستمرارية تضمن التقدم. يمكن البدء بساعة يوميًا أو أقل، حسب الإمكانية، والالتزام بهذا الوقت كجزء من الروتين.

٢. الاستفادة من الأوقات القصيرة: قد تكون هناك أوقات قصيرة خلال اليوم، كأوقات الانتظار أو التنقل، يمكن استغلالها في الاستماع لدروس مسجلة، أو قراءة صفحات من كتاب علمي، مما يساعد في استثمار الأوقات بشكل مفيد.

٣. التدرج في التعلم: للحد من الإرهاق، يُفضل التدرج في طلب العلم، فلا يبدأ المتعلم بتكاليف علمية كبيرة؛ بل يتدرج بين المواد حتى يصل إلى مرحلة الاستقرار، ويصبح العلم جزءًا لا يتجزأ من يومه.

٤. إعادة ترتيب الأولويات: يمكن التفكير في الأولويات بشكل موضوعي بحيث يتم تقديم العلم وفقًا لأهميته في حياة الفرد وأهدافه، ويمكن تحقيق ذلك بتخصيص وقت معتدل للعلم دون التأثير على المتطلبات الأخرى.

٥. التوازن النفسي والاسترخاء: لمواجهة الضغوط النفسية، يمكن ممارسة بعض الأنشطة التي تخفف من التوتر، كالرياضة الخفيفة، أو التأمل، أو القيام بتمارين تنفسية قبل البدء بالدراسة، مما ينعكس إيجابيًا على التركيز.

٦. طلب الدعم والتشجيع: يمكن إشراك الأسرة أو الأصدقاء في الهدف العلمي؛ فقد يساهم دعمهم وتشجيعهم في توفير بيئة مناسبة تساعد على الالتزام بطلب العلم.

٧. الاستعانة بالتكنولوجيا: تطبيقات تنظيم الوقت والتعلم، مثل التطبيقات القرآنية والعلمية، تسهل متابعة الدروس، وتنظيم المهام، وتعطي إحساسًا بالإنجاز والتحفيز على المتابعة.

خلاصة الكلام:

رغم التحديات التي قد تفرضها متطلبات الحياة اليومية، إلا أن التنظيم والإرادة والرغبة الصادقة في طلب العلم تجعل من الممكن التقدم في الدراسة وتحقيق الأهداف العلمية بشكل مستدام، مع التوفيق بين التزامات الحياة المختلفة.

المعوق الرابع عشر:

القناعة بالمستوى الحالي من المعرفة

فإنَّ رضا المسلم بالوضع الحالي الذي هو عليه من المعرفة ولو كان جاهلا لكثير من أمور دينه الضرورية يعتبر معوقًا كبيرًا من معوقات طلب العلم، وهو في الحقيقة رضًا بالجهل.

والاعتقاد بأن مستوى العلم الذي يمتلكه الشخص كافٍ قد يكون نتيجة للانشغال بالدنيا، إذ يجعل هذا الشخص غير مستعد للقيام بأي جهد إضافي لتحصيل المزيد من المعرفة والتعلم.

فالقناعة بالمستوى الحالي من المعرفة تُعتبر من معوقات طلب العلم لعدة أسباب مهمة، منها:

١. توقف السعي والتحصيل: القناعة الزائدة تجعل الشخص يعتقد أنه بلغ مراده من العلم، مما يدفعه للتوقف عن البحث والدراسة والاطلاع. وهذا يؤدي إلى الجمود وعدم التطور العلمي والفكري.

٢. الرضا بالحد الأدنى: قد يتوقف الطالب عند مستوى معين من المعرفة يراه كافيًا، فيكتفي بالمعلومات الأساسية أو السطحية دون الغوص في التفاصيل الدقيقة والتعمق في الموضوعات العلمية.

٣. فقدان الدافع للتعلم: من يشعر بالرضا التام عن مستوى معرفته يفقد الدافع القوي الذي يحفزه على متابعة التعلم والسعي وراء الحقائق الجديدة وتوسيع مداركه.

٤. الإفراط في الثقة بالنفس: هذا النوع من القناعة قد يؤدي إلى الغرور والاعتقاد بأن الطالب يمتلك المعرفة الكاملة، فيعجز عن تقبل النقد أو ملاحظات الآخرين، مما يحد من نموه العلمي.

٥. الابتعاد عن المصادر الجديدة: القناعة تجعل الطالب لا يبذل جهدًا في البحث عن المصادر الحديثة أو استكشاف علوم جديدة قد تثري معرفته وتعزز من فهمه.

والرغبة المستمرة في التعلم والشعور بالاحتياج إلى العلم والتعلم هو مما حث عليها الإسلام في القرآن والسنة، وهي التي تضمن للطالب التواضع والتقدم العلمي. ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: "وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (سورة طه، الآية ١١٤).

ففي هذه الآية أمرٌ لنبينا محمدٍ ﷺ بالدعاء لطلب المزيد من العلم، مما يظهر به أهمية الاستمرار في التعلم وعدم القناعة بالمستوى الحالي.

وقول الله سبحانه: "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (سورة المجادلة، الآية ١١).

فهذه الآية توضح فضل العلم وأهمية السعي إليه، وأن الله يرفع درجات العلماء المستمرين في طلب العلم.

وقد قال ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" رواه ابن ماجه عن أنس.

وهذا الحديث يشير إلى أن طلب العلم واجب على كل مسلم، مما يعني أن التوقف عند مستوى معين يتنافى مع واجب البحث المستمر عن المعرفة.

وقد بين النبي ﷺ أنَّ من عرف قدر العلم لم يشبع منه؛ بل يطلبه إلى أن يلقى ربَّه.

فقد روى البيهقي في الشعب عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ، مَنْهُومٌ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ، وَمَنْهُومٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهَا "

فهذا الحديث يشير إلى أن طالب العلم لا يشبع أبدًا، بل يستمر في السعي نحو المزيد، مما يعزز فضيلة الاستمرار والتواضع في طلب العلم.

وقد كان النبي ﷺ يسأل الله باستمرار أن يرزقه العلم النافع والعمل الصالح، وهو خير مثال لنا في السعي الدائم للعلم والتواضع في طلب المزيد.

فقد روى ابن حبان بسند حسنٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا ينفع".

فسؤال العلم النافع هو سؤال للاستزادة من العلم.

فيا أيها الأخ الكريم، لا ترضَ لنفسك أن تبقى على ما أنت عليه من المعرفة، بل اسعَ دائمًا في الاستزادة من العلم، واجعل طلبه هدفًا مستمرًا في حياتك. فالعلم نور يضيء لك دربك ويهديك إلى الفلاح في الدنيا والآخرة. تذكر أن الله سبحانه وتعالى قال: "وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (سورة طه، الآية ١١٤)، مما يدل على أن الرغبة في المزيد من المعرفة عبادة تؤجر عليها، وأن العلم لا نهاية له.

وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥)}

فمهما ظللت تطلب العلم وتسعى في دروبه، فلن تحصّل منه كلّه، فهو بحر لا ساحل له. وقد أحسن من قال: "كلما ازددت علمًا، ازددت علمًا بجهلي". فإنَّ من عرف قدر العلم أدرك مدى اتساعه وعمقه، وعلم أن ما أوتيه منه إنما هو قطرة في بحر لا يُحاط به.

وينسب إلى الشافعي أنه قال:

لن يبلُغَ العلمَ جميعاً أحدٌ لا ولَوْ حاوَلَهُ ألفَ سنَهْ
إنما العلْمُ عَمِيقٌ بحرُهُ فخذوا من كل شيءٍ أحسنه

فالعبد لا يستطيع أن يُحيط بكل العلم مهما حاول وسعى، حتى لو امتد عمره إلى ألف سنة.

لذا، كن مجتهدًا أيها الأخ الكريم في طلب العلم، متواضعًا في فهمك له، فكلما تقدمت خطوة زادت حاجتك لخطوات أخر، وكلما تعلمت شيئًا أدركت أنَّ هناك المزيد مما تجهله وأنت بحاجةٍ إليه.

فهذا السعي المستمر هو ما يميز طالب العلم الحقيقي، الذي لا يقنع بما لديه بل يسعى دائمًا للاستزادة، طالبًا الهداية والنور في مسيرته.

واعلم أن العلماء دائمًا يرون في أنفسهم حاجة مستمرة للاستزادة والتعلم، فهم يدركون أن العلم مهما بلغوا منه يظل فيه ما لم يحيطوا به علمًا. وهذا التواضع في طلب العلم هو سر تميزهم ورفعة شأنهم.

فالعالم الحق هو الذي لا يقنع بما وصل إليه من العلم؛ بل يسعى دائمًا للاستزادة منه، فهو يدرك أنَّ كلَّ فائدة جديدة يعلمها تفتح له أبوابًا إلى معارف أوسع، وكلَّ سؤالٍ فإنَّه يثير فيه رغبة في البحث والاطلاع.

فهذه الحاجة المستمرة هي التي تبقيه متجددًا ومتقدمًا، وهي التي تجعله يدرك أن طلب العلم لا يتوقف عند حد، بل هو رحلة لا نهاية لها، وهو سلم الترقي الذي يرتفع به العبد عند ربه مادام عاملاً بهذا العلم، ةما دام يتعلم ليعمل ويُعلِّم.

المعوق الخامس عشر:

الاعتقاد بأن العلم الضروري مُحصَّل بالفعل

العلم الضروري في الشرع يقصد به: العلم الأساسي الذي يجب على كل مسلم أن يعرفه ويعمل به ليتمكن من ممارسة دينه بشكل صحيح.

ويشمل هذا العلم مجموعة من المسائل الأساسية في العقيدة والعبادة والأخلاق، وهي المسائل التي لا يمكن للمسلم أن يكون معذورًا في جهلها، لأنها ضرورية لحسن علاقته بربه وأداء واجباته الدينية.

وينقسم العلم الضروري إلى عدة جوانب:

العلم بأصول العقيدة: يشمل معرفة التوحيد ومعانيه الأساسية، مثل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر. هذه أساسيات يجب على كل مسلم معرفتها لأن بها يستقيم إيمانه.

العلم بفرائض العبادات: يشمل معرفة كيفية أداء أركان الإسلام مثل الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. يُعتبر العلم بأداء هذه العبادات وأحكامها الضرورية فرضًا على كل مسلم ومسلمة بالغين مكلفين.

الأخلاق والمعاملات الأساسية: ويتضمن ذلك معرفة الحلال والحرام في المعاملات اليومية، كالصدق والأمانة والعدل، وتجنب المعاصي والذنوب الظاهرة مثل الغيبة، والنميمة، والكذب.

الضرورات في الحلال والحرام: مثل معرفة أحكام الطعام والشراب، وأحكام اللباس والزينة، وما هو محرم مثل الربا والخمر.

فعلى هذا يكون العلم الضروري هو الحد الأدنى من المعرفة الشرعية التي تُمكن المسلم من إقامة دينه والالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه.

وبعض الناس يظنون أنهم يمتلكون المعرفة الكافية فيما يخص العقيدة والعبادات الأساسية، بينما في الحقيقة تنقصهم الفهم الصحيح، مما يمنعهم من السعي لتعلم المزيد.

فالاعتقاد بأن العلم الضروري مُحصَّل بالفعل يعدّ من الأمور الخطيرة التي قد تؤدي إلى عدة تبعات سلبية على الفرد والمجتمع، ويمكن بيان هذه المخاطر والتبعات فيما يلي:

١. الوقوع في الغرور والعجب بالنفس

وهذا من أخطر آثار هذا الاعتقاد؛ وهو أن الإنسان قد يقع في الغرور ويعتقد أنه قد حصّل ما يكفيه من العلم، فيراه كاملاً ولا يحتاج إلى مزيد من التعلم. هذا الشعور يبعده عن فضيلة التواضع ويحرمه من السعي لتطوير معرفته.

قال تعالى: {فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ} (النجم: ٣٢)، أي لا تثنوا على أنفسكم بالعلم والاستغناء.

٢. يجعل الإنسان عرضة للفتن والشبهات، إذ قد يظن أنه يعرف حكمًا شرعيًا معينًا بناءً على فهم قاصر، فيفسّر الأمور بغير علم صحيح.

قال النبي ﷺ: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" (رواه البخاري ومسلم). عن ابن عمروٍ

٣. يحرم الإنسان من فهم أعمق لمعاني الدين وأحكامه، مما يُفقِده التفقه الكامل. هذا الأمر يجعله يقف عند ظاهر الأمور دون أن يدرك حكمتها وأبعادها.

قال الله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} (محمد: ٢٤)، وهي دعوة للتدبر وعدم الاكتفاء بالمعرفة السطحية.

٤. قد يظن صاحب العلم الضروري أنه قادر على الإفتاء والتوجيه، فيتحدث في مسائل لم يدرسها بعمق، فيقع في أخطاء جسيمة قد تؤدي إلى فتنة في المجتمع أو إشاعة الفتاوى الباطلة.

قال النبي ﷺ: "من أُفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه" (رواه أبو داود)، مما يدل على خطورة الفتوى بغير علم.

٥. العلم الناقص يؤدي إلى التقصير في العبادات، حيث يفقد الإنسان القدرة على أداء العبادة بالشكل الصحيح أو ينقصه الفهم العميق الذي يزيد من خشوعه وارتباطه بالله.

يقول ابن القيم رحمه الله: "العلم إمام العمل"، فإذا كان العلم ناقصًا فسيكون العمل كذلك.

٦. الاعتقاد بالاكتفاء قد يجعل صاحبه يدخل مجالات الدعوة أو التعليم بغير علم راسخ، فينقل معلومات خاطئة أو قاصرة تؤدي إلى نشر الجهل بين الناس بدلاً من نشر العلم، مما يضر المجتمع بدلًا من أن ينفعه.

ولمواجهة عائق الاكتفاء بالعلم الضروري ينبغي على العبد أمور:

١. أن يفهم طالب العلم أن العلم يزيد الإيمان وأنه من أفضل القربات إلى الله، وأن ذلك يزيده خشوعًا وتواضعًا أمام الله.

قال النبي ﷺ: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة" (رواه مسلم).

وهذا الحديث يُظهر عظمة العلم وفضله، مما يحث على طلب المزيد دون توقف.

٢. أن يدرك العبد أنه مهما بلغ من العلم، يبقى هناك الكثير مما يجهله.

وهذا التواضع يجعله في حالة دائمة من التعلم والتفقه، ويبعده عن الغرور أو الاعتقاد بأنه قد حاز الكفاية، وقد قال الله تعالى: {وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} (الإسراء: ٨٥)، وهذه الآية تذكرنا بقلة ما نملك من علم مهما تعلمنا، وهي دعوة للجدّ والاجتهاد.

٣. ينبغي لطالب العلم أن يُراجع نيته ويجدد عزمه على طلب العلم لوجه الله وللفهم الأعمق، وليس لتحقيق إنجاز أو الوصول إلى مكانة علمية معينة. هذا يساعده على الاستمرارية والابتعاد عن الاكتفاء.

قال سفيان الثوري: "ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نيتي؛ لأنها تتقلب عليّ"، مما يدل على أهمية النية الصادقة في مواجهة العقبات.

٤. تذكر الأجر المترتب على طلب العلم في الدنيا والآخرة؛ فإنَّه يُحفز المسلم للاستمرار في طلب العلم، فالعلم النافع يبقى صدقة جارية بعد موت صاحبه، وهذا يزيد من الحافز للتعلم المستمر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (رواه مسلم).

فينبغي على العبد أن يسعى في تحصيل العلم الذي يقوم به دينه، من الاعتقادات والعبادات والأخلاق.

المعوق السادس عشر

الانغماس في البدع والمفاهيم الخاطئة

ضرر البدع والوقوع في المفاهيم الخاطئة يمثل خطرًا كبيرًا على الفرد والمجتمع لما يترتب عليه من آثار سلبية دينية وأخلاقية وفكرية إذ يؤدي إلى انحراف العقيدة بتحريف الدين وإضافة ما ليس منه والابتعاد عن الكتاب والسنة بالاعتماد على الأهواء والرؤى الشخصية.

كما يتسبب في ضلال الفكر بتشويه المفاهيم الصحيحة وتبني معتقدات باطلة مع الجرأة على الدين والتلاعب بالنصوص مما يفتح الباب للتأويلات الخاطئة.

وتضعف البدع الوحدة الإسلامية من خلال انتشار التفرقة وظهور جماعات وأحزاب متناحرة مع التحزب والتعصب القائم على البدعة والفرقة بدلًا من الكتاب والسنة.

كما يؤدي إلى إضاعة الجهود والوقت بالانشغال بالأمور التي لا تعود بالنفع وإهمال الأعمال الصالحة التي شرعها الله مما يؤدي إلى خسارة الأجر والثواب.

ويؤثر على الأخلاق بإضعاف التزكية النفسية وتشجيع السلوكيات الخاطئة مع تعزيز الكبرياء والغرور لدى المبتدع لشعوره بالتفوق على غيره.

كما يتسبب في فقدان الهداية حيث يُغلق باب التوبة على المبتدع الذي لا يرى نفسه على خطأ مما يجعله يُصر على بدعته ويُعرض عن سبيل المؤمنين.و

ومنها أنه يترك الأثر السلبي على الأجيال القادمة من خلال نقل المفاهيم الخاطئة.

ومنها تراجع التعليم الديني الصحيح بسبب انتشار البدع التي تزيد من صعوبة تصحيح المسار.

لذلك يجب مواجهة البدع بالعودة إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح والتمسك بالعلم الشرعي الصحيح مع التحذير من الشبهات والدعوة إلى التوبة الصادقة.

فالانغماس في البدع والمفاهيم الخاطئة يمثل عائقًا كبيرًا أمام طلب العلم الشرعي الصحيح، إذ يؤدي إلى انحراف المسار العلمي وتشويه المنهجية السليمة، ومن أكبر الأسباب التي تجعل ذلك معوقًا:

١. تشويه الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، والابتعاد عن المنهج السلفي الصحيح:

الانغماس في البدع يُبعد عن فهم النصوص كما أُنزلت، وهذا يتنافى مع قول الله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

فالبغي والهوى يؤديان إلى تفسير النصوص بعيدًا عن سياقها الصحيح. وقد حذر النبي ﷺ من اتباع الهوى حيث قال: "وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا

كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ" [رواه الترمذي].

فأصحاب البدع يميلون إلى تقديم آرائهم أو تأويلاتهم الفاسدة على النصوص الواضحة، مما يعيق التحصيل العلمي القائم على الدليل الشرعي.

٢. انشغال العقل بالجدال والمراء وإضاعة الوقت في النقاشات العقيمة:

فالبدع غالبًا ما تكون مدعاة للجدال الذي لا طائل منه، مما يصرف طالب العلم عن تحصيل العلوم النافعة والتعمق في المسائل الشرعية.

والله عز وجل حذر من الجدال العقيم في قوله: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]. وقال النبي ﷺ: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا" [رواه أبو داود].

فالجدال الذي لا يؤدي إلى فائدة يضيع الوقت والطاقة، بينما الواجب على طالب العلم أن يستثمر وقته في تحصيل العلوم النافعة.

٣. الابتعاد عن العلماء المعتبرين:

فأصحاب البدع يميلون إلى نبذ العلماء الراسخين في العلم، مما يؤدي إلى فقدان المصدر الأساسي للعلم الشرعي الموثوق، مع أن الله قد أمرنا بسؤالهم والرجوع إليهم فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. والنبي ﷺ قال: "إن العلماء ورثة الأنبياء" [رواه الترمذي].

فالابتعاد عن العلماء يجعل الطالب يفتقد التوجيه الصحيح، ويقع في فخ التفسيرات المنحرفة.

٤. اتباع دعاة الضلال:

الانغماس في البدع يجعل الطالب يتبع أشخاصًا غير مؤهلين علميًا، مما يضر بمنهجه العلمي.

اتباع الأشخاص غير المؤهلين يؤدي إلى الضلال، وقد قال النبي ﷺ: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" [رواه البخاري ومسلم].

٤. تقوية التعصب والانغلاق الفكري

فالبدع تعزز التعصب للرأي والمذهب، مما يجعل الطالب يرفض أي نقاش أو تصحيح علمي، وبالتالي يبقى في جهله، ويبقى أتباع البدع في جماعات منغلقة تحصر فهم النصوص في إطار ضيق.

فالتعصب للرأي والمذهب يحجب عن الحق، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]. كما حذر النبي ﷺ من الفرقة فقال: "وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة" [رواه أبو داود].

٥. ضياع الهدف الحقيقي من طلب العلم من خلال السعي وراء الشهرة:

فكثير من أصحاب البدع يطلبون العلم ليس لنيل رضا الله، وإنما لنصرة بدعتهم أو تحقيق مكاسب دنيوية، مما يحرف النية ويضعف البركة في العلم.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وطلب العلم الشرعي هدفه تحقيق الإخلاص لله، لكن الانشغال بالبدع يجعل النية تنحرف نحو نصرة الأهواء والمكاسب الدنيوية.

٦. الوقوع في المعاصي والابتعاد عن التزكية

فالبدع تُضعف الجانب الأخلاقي والتزكوي في حياة طالب العلم، مع أن النبي ﷺ قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [رواه البيهقي].

فالابتعاد عن السنة يؤدي إلى التهاون في الأحكام الشرعية، مما يُضعف الإيمان ويُبعد عن العلم النافع، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

هذه الأدلة تؤكد خطورة الانغماس في البدع والمفاهيم الخاطئة على طالب العلم الشرعي، سواء في فهم النصوص أو الارتباط بالعلماء أو التزكية النفسية، مما يستوجب الالتزام بالمنهج السلفي والابتعاد عن الأهواء.

وهذا يستلزم أمورا ينبغي اتباعها ل**تجنب الانغماس في البدع والمفاهيم الخاطئة وهي:**

١. التزام منهج السلف الصالح والعودة إلى الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين.

٢. البعد عن المتصدرين بغير علم والذين يدعون إلى البدع.

٣. التركيز على دراسة العلوم الشرعية الأساسية كالقرآن، السنة، والعقيدة.

٤. الحذر من الشبهات وتجنب الاستماع للمفاهيم التي قد تؤدي إلى التشكيك أو الانحراف.

٥. استحضار النية الصادقة في طلب العلم ابتغاء وجه الله وحده.

والخلاصة: أنَّ الانغماس في البدع والمفاهيم الخاطئة يشوه منهج طلب العلم، ويفقد الطالب القدرة على التمييز بين الحق والباطل.

لذلك، على طالب العلم أن يلتزم بالمنهج الصحيح، ويبتعد عن مواطن الشبهات، مع التحلي بالتواضع وطلب التوجيه من العلماء الموثوقين.

المعوق السابع عشر

الإفراط في نقد النفس وهضمها

الإفراط في نقد النفس هو المبالغة في توبيخ الذات والتركيز على الأخطاء والسلبيات بطريقة تؤدي إلى الشعور بالإحباط والعجز، بدلًا من أن يكون النقد وسيلة للتحسين والتطوير.

والإفراط في نقد النفس قد يكون من أخطر المعوقات التي تواجه طالب العلم، لأنه يخلق بيئة ذهنية سلبية تؤثر على الثقة بالنفس، وتحدّ من القدرة على الاستمرار والتطور. إليك تفصيلاً لكيف يمكن أن يشكل هذا الأمر عائقًا:

١. الشعور بعدم الكفاءة

عندما ينتقد الإنسان نفسه باستمرار ويشكك في قدراته، يبدأ في فقدان الثقة في إمكانياته العلمية.

قد يعتقد أنه ليس ذكيًا بما يكفي أو أن الآخرين أفضل منه، مما يجعله يشعر بأنه غير مؤهل لطلب العلم أو الاستمرار فيه.

٢. الشعور بالإحباط والاستسلام

الإفراط في النقد يجعل الشخص يركز على أخطائه أكثر من إنجازاته، مما يؤدي إلى الشعور بالإحباط. بدلًا من رؤية الأخطاء على أنها جزء طبيعي من رحلة التعلم، ينظر إليها على أنها دليل على الفشل، مما قد يدفعه إلى التوقف عن طلب العلم تمامًا.

٣. الخوف من ارتكاب الأخطاء

الطالب الذي يبالغ في نقد نفسه قد يصبح مترددًا في طرح الأسئلة أو في تجربة طرق جديدة للفهم، خوفًا من أن يكون مخطئًا. وهذا يؤدي إلى بطء التعلم، لأنه من الطبيعي أن يقع الإنسان في الخطأ ويتعلم منه.

٤. المقارنة السلبية بالآخرين

عندما ينتقد الشخص نفسه باستمرار، قد يبدأ في مقارنة نفسه بالآخرين بطريقة غير صحية، معتقدًا أنهم أكثر ذكاءً أو قدرةً منه. هذه المقارنة السلبية قد تؤدي إلى الإحباط، خاصة إذا كان يرى أنه لا يحقق نفس التقدم الذي يحققه غيره.

٥. تراجع الدافعية للحفظ والمذاكرة

كثرة انتقاد النفس تجعل الإنسان يرى جهده على أنه غير كافٍ، فيشعر بأن ما يفعله غير مجدٍ. هذا قد يؤدي إلى تقليل الحماس للمراجعة، لأنه يرى أن النتيجة لن تكون مرضية مهما اجتهد.

٦. التركيز على العيوب بدلًا من التطوير

الشخص الذي يفرط في نقد نفسه قد يصبح منشغلاً بعيوبه وأخطائه لدرجة أنه ينسى العمل على تحسينها. فبدلًا من أن يسأل نفسه: "كيف يمكنني أن أتحسن؟"، يظل يقول: "أنا فاشل ولا أستطيع التعلم". وهذا يمنعه من اتخاذ خطوات عملية للتطور.

٧. الإرهاق النفسي والعقلي

النقد المستمر للنفس يخلق ضغطًا نفسيًا هائلاً، مما يؤدي إلى الإرهاق الذهني وفقدان المتعة في التعلم. إذا كان الإنسان يشعر دائمًا بأنه مقصر، فإنه سيفقد الحماس للاستمرار في رحلته العلمية.

- **كيف يمكن التغلب على هذا العائق؟**

١. النهي عن التقليل من الذات والتذكير بقدرة الإنسان على التعلم والتطور

قال الله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾} [سورة آل عمران:١٣٩].

في هذه الآية الكريمة، ينهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن الضعف والاستسلام للحزن، لأن ذلك يضعف الهمة والعزيمة. وهذا يشمل أيضًا التهوين من النفس والإفراط في النقد الذي قد يؤدي إلى الشعور بالعجز عن التعلم والتطور.

٢. أهمية السعي في طلب العلم وعدم الاستسلام للإحباط

قال الله تعالى: { وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾} [سورة العنكبوت:٦٩].

هذه الآية تشير إلى أن الاجتهاد والمجاهدة في طلب العلم أو غيره من الأعمال الصالحة تؤدي إلى الهداية والنجاح، مما يعني أن الاستسلام للإحباط وكثرة النقد للنفس يعيق عن الوصول إلى الأهداف المرجوة.

٣. الاعتدال في النقد وعدم احتقار النفس

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ لَقِسَتْ نَفْسِي». (رواه البخاري ومسلم).

(لقست نفسي) بمعنى خبثت أي حصل لها الكسل والخمول أو المرض وكره لفظ خبث لبشاعته لأن من معانيه الباطل في الاعتقاد والكذب في القول والقبح في الفعال.

المقصود في الحديث أن الإنسان لا ينبغي له أن يستخدم كلمات شديدة القسوة على نفسه، بل يختار عبارات أخف تدل على الحاجة إلى الإصلاح دون أن تؤدي إلى تحطيم النفس. وهذا منهج نبوي في التوازن وعدم الوقوع في جلد الذات الذي يؤدي إلى الإحباط واليأس.

٤. الاستفادة من الأخطاء بدلًا من التثبيط

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ" (رواه الترمذي وابن ماجه).

يدل هذا الحديث على أن الخطأ جزء من طبيعة الإنسان، لكن المطلوب هو التعلم منه والرجوع إلى الصواب، لا أن يتحول إلى سبب للإحباط أو التوقف عن التعلم.

٥. التشجيع على التعلم دون خوف أو تردد

قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ». قَالَ: "فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ"

قَالَ: "فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ". رواه أبو داود والترمذي.

في هذا الحديث نرى كيف أن النبي ﷺ لم يقل لزيد: "أنت لا تستطيع"، بل شجعه على التعلم، ولم يكن هناك تخويف من الفشل، مما يدل على أهمية المضي قدمًا في التعلم دون قلق مفرط من ارتكاب الأخطاء.

٦. النهي عن اليأس والاستسلام

قال الله تعالى: { إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ } [سورة يوسف:٨٧].

اليأس من التقدم في التعلم والشعور بعدم القدرة على الفهم هو شكل من أشكال القنوط، وهذا ينافي التوكل على الله والإيمان برحمته وقدرته على تعليم عباده وهدايتهم.

- **الخلاصة:**

أنَّ الإفراط في نقد النفس يجعل طالب العلم يعيش في دوامة من الشكوك والإحباط، مما يؤدي إلى التراجع بدلًا من التقدم.

والتوازن مهم، فالنقد البناء مفيد، لكن عندما يتحول إلى جلد ذاتي مستمر، يصبح عائقًا كبيرًا في طريق التعلم.

المعوق الثامن عشر

الاعتماد الكلي على الوسائل الحديثة

إنَّ طلب العلم من أعظم القربات وقد أمر الله -سبحانه وتعالى- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بالجد والاجتهاد فيه وقد بيّن العلماء أن لطلب العلم آدابًا وضوابط لا بد من مراعاتها ومن المعوقات التي قد تضعف التحصيل العلمي: الاعتماد الكلي على الوسائل الحديثة وهذا يتضح من عدة جوانب مع الاستدلال من القرآن والسنة.

١. ضعف الملكة الفقهية والعلمية إنَّ الوسائل الحديثة توفر المعلومات بسرعة وسهولة لكن الاعتماد عليها دون دراسة الكتب الأصلية ومجالسة العلماء يُضعف قدرة الطالب على التحليل والاستنباط قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣) في هذه الآية توجيه إلى التلقي المباشر من أهل العلم وليس مجرد البحث السطحي عن المعلومات عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ» (متفق عليه) دلَّ الحديث على أنَّ العلم يؤخذ عن العلماء وأن فقدانهم سبب في ذهاب العلم مما يؤكد أهمية التلقي المباشر

٢. سطحيَّة الفهم كثير من المعلومات المتاحة عبر الإنترنت أو التطبيقات لا تتناول المسائل بعمق مما يؤدي إلى استيعاب سطحي لا يؤهل الطالب للفهم الدقيق

والتأصيل العلمي قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤) تدبر العلم يحتاج إلى تعمق وليس مجرد جمع المعلومات السطحية قال الإمام الزهري -رحمه الله-: «العلم إن أخذته جملة ذهب عنك جملة وإنما يُؤخذ العلم قليلاً قليلاً» وهذا يدل على أن العلم يحتاج إلى تدرج وتعمق وليس مجرد اطلاع سريع

٣. عدم التدرج في الطلب بعض الوسائل الحديثة تقدم المعلومات بطريقة غير مرتبة مما يجعل الطالب يخلط بين المقدمات والمسائل المتقدمة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (رواه الطبراني وصححه الألباني) يدل الحديث على أن العلم يكتسب بالتدرج وليس بمجرد الاطلاع على مصادر متفرقة قال الإمام ابن سيرين -رحمه الله-: «إنَّ هذا العِلم دِينٌ فانظروا عمَّن تأخذون دِينكم» (مقدمة صحيح مسلم) هذا يؤكد ضرورة تلقي العلم من مصادر موثوقة وبطريقة مرتبة منهجيًا

٤. الافتقار إلى ضبط العلم وحفظه التصفح السريع والبحث الفوري يقللان من قدرة الطالب على الحفظ والاستظهار وهما من أساسيات طلب العلم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَحَفِظَهَا فَبَلَّغَهَا» (رواه الترمذي وصححه الألباني) والحديث يشير إلى أهمية الحفظ والتبليغ وليس مجرد الاطلاع العابر قال الشافعي -رحمه الله-: «العِلمُ صَيدٌ والكِتابةُ قَيدٌ

قَيِّدْ صُيودَكَ بِالحِبالِ الواثِقَةِ» وهذا يشير إلى ضرورة تثبيت العلم بالكتابة والتكرار وليس بالاعتماد على البحث السريع

٥. التعرض للشبهات دون تأصيل كثرة المصادر غير الموثوقة تجعل الطالب عرضة للأخطاء العلمية والشبهات الفكرية دون أن يكون لديه الأسس الكافية للرد عليها قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: **٨٣**) ← في هذه الآية توجيه لعدم نشر المعلومات قبل التثبت من أهل العلم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ» (رواه مسلم) ← وهذا يؤكد ضرورة التثبت من مصادر العلم

٦. ضعف الاتصال بالعلماء الاقتصار على الدروس المسجلة أو المقالات المكتوبة يحرم الطالب من التلقي المباشر الذي هو من أهم وسائل تصحيح الفهم والاستفادة من توجيهات العلماء قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ (النساء: **٨٣**) ففي الآية دليل على أهمية الرجوع إلى أهل العلم لاستخلاص الفهم الصحيح

٧. التشتت وكثرة الملهيات الوسائل الحديثة قد تشغل الطالب عن التركيز في طلب العلم الجاد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (لقمان: ٦) فاللهو المفرط قد يلهي عن العلم النافع قال النبي -صلى

الله عليه وسلم-: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ» (رواه الترمذي) وهذا يدل على ضرورة التركيز على النافع والابتعاد عن الملهيات

بما أن الاعتماد المفرط على الوسائل الحديثة قد يؤدي إلى ضعف التحصيل العلمي، فإن العلاج يكمن في تحقيق التوازن بين الاستفادة من التقنيات الحديثة وبين اتباع المنهجية العلمية الصحيحة في الطلب، وذلك من خلال الخطوات التالية:

١. الجمع بين التلقي المباشر والوسائل الحديثة الحرص على مجالسة العلماء وحضور دروسهم سواء حضوريًا أو عبر البث المباشر، مع الاستفادة من الوسائل الحديثة كمكمل لا كبديل. قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣). يدل على أهمية الرجوع إلى العلماء لفهم المسائل بعمق. قال الإمام مالك -رحمه الله-: «لا يؤخذ العلم من أربعة: سفيه معلن السفه، وصاحب هوى يدعو إليه، ومن يكذب في حديث الناس، ورجل له فضل وصلاح لا يعرف ما يحدث». وهذا يشير إلى ضرورة اختيار مصادر التعلم بعناية وعدم الاقتصار على الإنترنت.

٢. اتباع منهجية صحيحة في طلب العلم التدرج في الطلب: دراسة العلوم على مراتبها الصحيحة، بدءًا بالمختصرات ثم المطولات، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» (رواه الطبراني). التركيز على المتون العلمية وحفظها، ثم شرحها على يد

العلماء، وعدم الاكتفاء بالمعلومات المتفرقة من الإنترنت. الرجوع إلى الكتب الأصلية وعدم الاعتماد فقط على الشروحات المختصرة أو المقتطفات السريعة.

٣. ضبط العلم بالحفظ والكتابة الاعتماد على التكرار والمراجعة لحفظ العلم، وعدم الاكتفاء بالبحث الفوري عند الحاجة. قال النبي ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، فَحَفِظَهَا، فَبَلَّغَهَا» (رواه الترمذي). وهذا يدل على أهمية حفظ العلم ونقله. اتباع منهج التلخيص والتدوين كما قال الإمام الشافعي: «العلم صيد، والكتابة قيد، قيد صيدك بالحبال الواثقة».

٤. التثبت من المصادر العلمية التأكد من أن المصادر موثوقة، سواء من الكتب أو المقالات أو الدروس المسجلة. الالتزام بالتحقيق العلمي، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦).

٥. التخلص من الملهيات وتقليل التشتت تخصيص أوقات محددة للدراسة بعيدًا عن وسائل التواصل الاجتماعي. استخدام التكنولوجيا باعتدال، مثل تحميل الكتب الإلكترونية والبرامج العلمية المفيدة دون الانشغال بالمحتويات غير النافعة. قال النبي ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» (رواه الترمذي).

٦. الحرص على مجالسة العلماء وأهل العلم قال الإمام ابن المبارك رحمه الله: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». مما يدل على أهمية تلقي العلم بالسند الصحيح، وليس الاكتفاء بالمعلومات المبتورة من الإنترنت.

٧. حضور الدروس الفقهية والعلمية في المساجد، وعدم الاعتماد فقط على الدورات الإلكترونية.

الخاتمة:

الوسائل الحديثة يمكن أن تكون مفيدة في طلب العلم، لكنها لا تغني عن التلقي المباشر، والتدرج في التعلم، وضبط العلم، والحذر من الشبهات، والتواصل مع العلماء. ومن أراد أن ينال بركة العلم فلا بد أن يأخذه من مصادره الصحيحة، على أيدي العلماء، مع اتباع المنهجية السليمة.

المعوق التاسع عشر

ضعف التوكل على الله

التوكل على الله يعني الاعتماد القلبي على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الأخذ بالأسباب المشروعة في طلب العلم.

والتوكل يشمل الثقة بأن الله يعينك ويوفقك، شريطة أن تبذل الجهد وتتحرى الإخلاص.

وضعف التوكل يؤدي إلى الخلل في هذه الأمور، حيث يطغى إما الاعتماد على الأسباب وحدها أو التخلي عنها تمامًا.

فالتوكل على الله وطلب العون منه سبحانه أمر أساسي للنجاح في أي مسعى، ومن ذلك طلب العلم. وإذا غاب التوكل، وجد العبد نفسه متردداً وغير قادر على الاستمرار.

الدليل: قال الله تعالى: "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" (الطلاق: ٣)، وقال النبي ﷺ: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز" (رواه مسلم).

وضعف التوكل على الله يمكن أن يكون معوقًا لطلب العلم من عدة جوانب ومنها:

١. الخوف من الفشل: فضعف التوكل يجعل الشخص يتوقع الأسوأ دائمًا. قد يشعر بالخوف من الفشل وأنه لا يستطيع الحفظ، أو عدم القدرة على استيعاب وعدم الفهم، مما يدفعه لترك طلب العلم عند أو عثرة يصادفها.

٢. ضعف التوكل يجعل الطالب ينشغل بالمخاوف الدنيوية مثل القلق على المال أو المستقبل الوظيفي، مما يضعف تركيزه على العلم نفسه.

٣. طالب العلم ضعيف التوكل قد يستسلم بسرعة أمام أي صعوبة، سواء كانت صعوبة فهم مادة معينة أو التعرض لمواقف محبطة.

٤. من لا يتوكل على الله يميل إلى الاعتماد على نفسه وقدراته، مما يفقده البركة في علمه وعمله.

٥. إهمال الأسباب: قد يتصور الشخص ضعيف التوكل أن التوفيق من الله يأتي دون جهد، فيترك الدراسة والتحصيل الجاد، مما يؤدي إلى فشل أكيد.

٦. الإفراط في الاعتماد على الأسباب: الشخص ضعيف التوكل قد يعتمد فقط على الدراسة المكثفة دون التوجه لله بالدعاء أو الاستعانة به، فيشعر بالإرهاق والإحباط.

علاج هذا المعوق:

١. العمل بالأسباب مع اليقين في النتائج فهم أن التوكل لا يعني ترك العمل. يقول النبي ﷺ: "اعقلها وتوكل"، مما يبين أهمية الجمع بين السعي والتوكل.

٢. اللجوء إلى الله بالدعاء فإنَّ طلب العلم عبادة، والدعاء بالتوفيق فيه يحقق السكينة النفسية.

٣. استحضار أن الله هو الذي ييسر الأمور ويوجه العبد لما فيه الخير. الشكر على التوفيق السابق يعزز التوكل.

المعوق العشرين

عدم العمل بالعلم

يُعد عدم العمل بالعلم من أخطر المعوقات في طريق طلب العلم، حيث إن العلم ليس مجرد معرفة نظرية، بل يجب أن يُترجم إلى أفعال وسلوكيات تُظهر أثره في حياة الفرد والمجتمع.

فمن تعلَّم ولم يعمل بعلمه فقد خان الأمانة ولم يؤدِ واجبه كطالب علم، بل صار علمه حجة عليه يوم القيامة.

- **ومن تتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ علم خطورة عدم العمل بالعلم ومن ذلك:**

تشبيه من لا يعمل بعلمه بالكلب وبالحمار يحمل أسفارًا

قال الله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" [الجمعة: ٥].

يوضح الله تعالى في هذه الآية أن من يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل الحمار الذي يحمل كتبًا على ظهره، لكنه لا يستفيد منها بشيء.

التحذير من مخالفة القول للعمل

قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" [الصف: ٢-٣].

في هذه الآية تحذير شديد من أن يقول الإنسان شيئًا ولا يعمل به، لأن ذلك يوقعه في مقت الله (أي غضبه الشديد).

الدعاء بالاستعاذة من علم لا يُنتفع به

قال النبي ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها" (رواه مسلم).

يدل الحديث على أن العلم الذي لا يعمل به صاحبه هو علم غير نافع، وصاحبه يكون محرومًا من بركته.

ذكر أول من تسعر بهم النار يوم القيامة

قال النبي ﷺ: "إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استُشهد فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليُقال جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار... ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت القرآن فيك. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار" (رواه مسلم).

هذا الحديث يبين أن العلم الذي لا يُبتغى به وجه الله ولا يُعمل به يكون سببًا في دخول النار، والعياذ بالله.

عدم العمل بالعلم لا يؤثر فقط على ثواب العبد ومكانته عند الله، بل يمتد أثره ليصبح عائقًا حقيقيًا أمام الاستمرار في طلب العلم. وفيما يلي تفصيل لكيفية تأثير هذا المعوق على طالب العلم:

١. حرمان بركة العلم ونوره

العلم نور، ومن لا يعمل بعلمه يُحرم من هذا النور تدريجيًا. فقد يدرس الإنسان مسائل كثيرة لكنه لا يجد فيها تأثيرًا على قلبه وسلوكه، مما يجعله يشعر بعدم الفائدة ويُصاب بالفتور عن طلب المزيد.

قال الشافعي رحمه الله:

"شكوت إلى وكيع سوء حفظي ** فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ** ونور الله لا يُهدى لعاصي".

إن العلم الذي لا يُطبق يُصبح مجرد معلومات نظرية سرعان ما تتلاشى، لأن القلب لا يتفاعل معها.

٢. سبب في قسوة القلب وفقدان الرغبة في التعلم

عدم العمل بالعلم يؤدي إلى قسوة القلب، وهذا يجعل الإنسان غير متأثر بما يتعلمه. فعندما لا يجد الشخص أثرًا عمليًا للعلم في حياته، يبدأ بفقدان الحماس لطلب المزيد، لأن التعلم حينها يكون بلا معنى أو أثر.

قال الحسن البصري رحمه الله: "كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى أثره في صلاته، وفي صمته، وفي بصره، وفي لسانه".

وهذا يدل على أن العلم إذا لم يظهر أثره في السلوك، فقد يصبح عبئًا على صاحبه بدل أن يكون دافعًا للاستزادة.

٣. يورث الكسل والتهاون في طلب العلم

إذا لم يعمل طالب العلم بما تعلّمه، فإنه مع الوقت سيعتاد على التسويف والتهاون. فعندما يتعلم مسألة شرعية ثم يهمل تطبيقها، سيتكرر الأمر مع مسائل أخرى، مما يجعله يدخل في دائرة الكسل واللامبالاة، وقد يصل الأمر إلى ترك طلب العلم تمامًا.

مثال: شخص يتعلم عن فضل صلاة الفجر لكنه لا يُحافظ عليها، ثم يتعلم عن بر الوالدين لكنه لا يطبق، مع الوقت سيشعر بعدم فائدة ما يتعلمه وسيتوقف عن طلب المزيد.

٤. يؤدي إلى سوء الخاتمة في العلم

الذين يطلبون العلم دون عمل قد يتعرضون إلى الانحراف عن طلب العلم بسبب عدم وجود دافع قوي للاستمرار. فطلب العلم يحتاج إلى التزام وجدّية، وعدم العمل به يجعل الأمر يبدو بلا هدف، فيبدأ الشخص بالبحث عن أعذار لتبرير توقفه.

قال سفيان الثوري رحمه الله: "العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل"

أي أن العلم الذي لا يُطبَّق يرحل عن صاحبه، فيُحرمه الله من التوفيق إلى الاستزادة.

٥. يُسبب الرياء ويضعف الإخلاص

عدم العمل بالعلم يجعل الإنسان يتعامل مع العلم كأداة للتفاخر وليس للهداية، فيبدأ بطلب العلم ليقال عنه "عالم" أو "مثقف"، وهذا يفسد نيته ويحرمه بركة العلم الحقيقي، فينفر منه قلبه مع مرور الوقت.

قال النبي ﷺ: "من تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" (رواه أبو داود).

أي أن من طلب العلم لغير العمل به، فإنه قد يُحرم حتى من دخول الجنة!

٦. يُؤدي إلى التناقض وفقدان المصداقية

عندما يطلب الإنسان العلم ولا يعمل به، فإنه يصبح في نظر الناس شخصًا متناقضًا، مما يفقده المصداقية والاحترام، وهذا قد يجعله يشعر بالإحباط ويفقد الرغبة في التعلم أكثر.

مثال: شخص يعلم الناس الأخلاق لكنه لا يتحلى بها، سيفقد احترام الناس، وسيفقد هو نفسه الدافع لمواصلة التعلم لأنه يرى أن كلامه غير مؤثر.

٧. يجلب سخط الله ويمنع التوفيق

الله تعالى يُعطي العلم لمن يريده للخير، فإذا أعطى الله شخصًا علمًا ولم يعمل به، فقد يُحرمه المزيد من العلم، لأن الله لا يُعطي العلم لمن لا يقدّره.

قال تعالى: "وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" [الأنعام: ١١٠].

فمن رفض العمل بالعلم، يُعاقب بأن يُحرم منه، أو يضل في فهمه، فلا يعود قادرًا على طلب المزيد.

- **الخلاص من معوق عدم العمل بالعلم**

للتغلب على مشكلة عدم العمل بالعلم، يحتاج طالب العلم إلى منهج عملي وإيماني يساعده على تحويل العلم إلى تطبيق وسلوك. فيما يلي أهم الوسائل التي تعينه على ذلك:

١. الإخلاص في طلب العلم والعمل به

الإخلاص أساس كل شيء، فإذا كان الدافع لطلب العلم هو العمل به، فإن الله يبارك في هذا العلم ويوفق صاحبه للتطبيق. وقد قال النبي ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" (متفق عليه). فيجب أن يُذكّر الإنسان نفسه بأن العلم حجة عليه لا له إن لم يعمل به، وأن العلم الذي لا يُطبق يكون وبالًا يوم القيامة.

ولتطبيق ذلك ينبغي أن يسأل الإنسان نفسه قبل طلب أي علم: لماذا أتعلم هذا؟ وكيف سأطبقه؟ وأن يجعل نيته دائمًا أن يتقرب إلى الله بالعمل، وليس فقط بالمعرفة.

٢. تعويد النفس على التطبيق الفوري للعلم

من أفضل الطرق لحفظ العلم العمل به فورًا. وقد قال بعض السلف: "كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به". وكلما تعلم الإنسان حكمًا شرعيًا أو أدبًا أو

سنة، ينبغي عليه أن يحاول تطبيقه مباشرة في حياته، كتطبيق سنة صلاة الضحى فور تعلمها، أو الإكثار من الاستغفار بعد معرفة فضله، أو التحلي بالأمانة في المعاملات.

٣. محاسبة النفس بانتظام

فالإنسان مسؤول عن تطبيق ما يتعلمه، لذا يحتاج إلى محاسبة نفسه بصدق. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا". وبدون مراجعة دائمة قد ينسى الإنسان ما تعلمه ويتساهل في التطبيق. ويمكن تحقيق ذلك من خلال تخصيص وقت أسبوعي لمراجعة ما تم تعلمه خلال الأسبوع ومدى تطبيقه، والبحث عن سبل لتحسين التطبيق.

٤. البدء بالأهم فالمهم في التطبيق

قد يتعلم الإنسان الكثير من الأمور دفعة واحدة، فيحتار في أيها يبدأ بالتطبيق، مما قد يؤدي إلى عدم تطبيق شيء. لذا يجب البدء بأهم الأمور ثم الانتقال إلى الأقل أهمية تدريجيًا، كالمحافظة على الفرائض أولًا، ثم التدرج في السنن والآداب والسلوكيات الحسنة، وعدم إثقال النفس دفعة واحدة.

٥. مجالسة أهل العلم العاملين

فالصحبة الصالحة لها تأثير كبير في تقوية العزيمة على العمل بالعلم. وقد قال النبي ﷺ: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل" (رواه الترمذي). لذا ينبغي الحرص على حضور مجالس العلماء الذين يُظهرون أثر العلم في أفعالهم،

وليس فقط في كلامهم، والابتعاد عن أهل الجدال والتنظير الذين يتكلمون كثيرًا لكنهم لا يعملون.

٦. الاستعاذة بالله من علم لا يُنتفع به

فقد كان النبي ﷺ يدعو الله دائمًا أن يرزقه العلم النافع ويحذر من العلم غير النافع. وقال ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع..." (رواه مسلم). ويمكن تطبيق ذلك من خلال الإكثار من الدعاء بأن يرزق الله العبد علمًا نافعًا وعملاً صالحًا متقبلاً، وعدم دراسة العلم لمجرد المعرفة فقط، بل البحث دائمًا عن كيفية الاستفادة منه.

٧. الصبر والمجاهدة في التطبيق

فالعمل بالعلم يحتاج إلى صبر ومجاهدة، لأن النفس تميل إلى الراحة والتسويف. وقد قال تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا" [العنكبوت: ٦٩]. وكلما جاهد الإنسان نفسه على العمل بالعلم، زادت بركة العلم وازداد حب الإنسان له. ويمكن تحقيق ذلك من خلال وضع جدول عملي لتطبيق العلم، مثل الالتزام بتطبيق سنة معينة لمدة أسبوع، وتذكر أن العمل بالعلم يزيد الإيمان، مما يسهل طلب المزيد.

والخلاصة:

أنك إذا عملت بما تعلمته، فستجد نفسك أكثر حرصًا على التعلم، لأنك ترى بركة العلم في حياتك.

وكلما عملت بعلمك، فتح الله لك أبواب علم جديد، وكلما أهملت العمل، حُرِمْتَ البركة والتوفيق.

فنسأل الله أن يجعل علمنا نافعًا، ويعيننا على العمل به، ويرزقنا الإخلاص فيه.